(٧٢) سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اختلف الناس قديماً وحديثاً فى ثبوت الجن ونفيه ، فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره ، وذلك لأن أبا على بن سينا قال فى رسالته فى حدود الأشياء . الجن حيوان هوائى متشكل بأشكال مختلفة ، ثم قال وهذا شرح للاسم . فقوله وهذا شرح للاسم يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود فى الخارج ، وأما جمهور أرباب الملل والمصدقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن ، واعترفوا به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ويسمونها بالأرواح السفلية ، وزعموا أن الأرواح السفلية أسرع إجابة إلا أنها أضعف ، وأما الأرواح الفلكية فهى أبطأ إجابة إلا أنها أقوى . واختلف المثبتون على قولين فمنهم من زعم أنها ليست أجساماً ولا حالة فى الأجسام بل هى جواهر قائمة بأنفسها ، قالوا ولا يلزم من هذا أن يقال أنها تكون مساوية لذات الله لأن كونها ليست أجساماً ولا جسمانية سلوب والمشاركة فى السلوب لا تقتضى المساواة فى الماهية ، قالوا ثم إن هذه الذوات بعد اشتراكها فى هذا السلب أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض بعد استوائها فى الحاجة إلى المحل فبعضها خيرة ، وبعضها شريرة ، وبعضها كريمة محبة للخيرات ، وبعضها دنيئة خسيسة محبة للشرور والآفات ، ولا يعرف عدد أنواعهم وأصنافهم إلا الله ، قالوا وكونها موجودات مجردة لا يمنع من كونها عالمة بالجزئيات قادرة على الأفعال ، فهذه الأرواح يمكنها أن تسمع وتبصر وتعلم الأحوال الجزئية وتفعل الأفعال المخصوصة ، ولما ذكرنا أن ماهياتها مختلفة لا جرم لم يبعد أن يكون فى أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة تعجز عنها قدر البشر ، ولا يبعد أيضاً أن يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم ، وكما أنه دلت الدلائل الطبية على أن المتعلق الأول للنفس الناطقة التى ليس الإنسان إلا هى ، هى الأرواح وهى أجسام بخارية لطيفة

تتولد من ألطف أجزاء الدم وتتكون فى الجانب الأيسر من القلب ثم بواسطة تعلق النفس بهذه الأرواح تصير متعلقة بالأعضاء التى تسرى فيها هذه الأرواح لم يبعد أيضاً أن يكون لكل واحد من هؤلاء الجن تعلق بجزء من أجزاء الهواء فيكون ذلك الجزء من الهواء هو المتعلق الاول لذلك الروح ثم بواسطة سيران ذلك الهواء فى جسم آخر كثيف يحصل لتلك الأرواح تعلق وتصرف فى تلك الأجسام الكثيفة ، ومن الناس من ذكر فى الجن طريقة أخرى فقال هذه الأرواح البشرية والنفوس الناطقة إذا فارقت أبدانها وازدادت قوة وكمالا بسبب مافى ذلك العالم الروحانى من انكشاف الأسرار الروحانية فاذا اتفق أن حدث بدن آخر مشابه لما كان لتلك النفس المفارقة من البدن ، فسبب تلك المشاكلة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما لهذا البدن ، وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن فى أفعالها وتدبيرها لذلك البدن . فان الجنسية علة الضم ، فان اتفقت هذه الحالة فى النفوس الخيرة سمى ذلك المعين ملكا وتلك الإعانة إلهاماً ، وإن اتفقت فى النفوس الشريرة سمى ذلك المعين شيطاناً وتلك الإعانة وسوسة .

و﴿ القول الثانى ﴾ فى الجن أنهم أجسام ثم القائلون بهذا المذهب اختلفوا على قولين ، منهم من زعم أن الأجسام مختلفة فى ماهياتها ، إنما المشترك بينها صفة واحدة ، وهى كونها بأسرها حاصلة فى الحيز والمكان والجهة وكونها موصوفة بالطول والعرض والعمق ، وهذه كلها إشارة إلى الصفات ، والاشتراك فى الصفات لايقتضى الإشتراك فى تمام الماهية لما ثبت أن الأشياء المختلفة فى تمام الماهية لا يمتنع اشتراكها فى لازم واحد . قالوا وليس لأحد أن يحتج على تماثل الأجسام بأن يقال الجسم من حيث إنه جسم له حد واحد ، وحقيقة واحدة ، فيلزم أن لا يحصل التفاوت فى ماهية الجسم من حيث هو جسم ، بل إن حصل التفاوت حصل فى مفهوم زائد على ذلك ، وأيضاً فلأنه يمكننا تقسيم الجسم إلى اللطيف والكثيف ، والعلوى والسفلى ، ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام ، فالأقسام كلها مشتركة فى الجسمية والتفاوت ، إنما يحصل بهذه الصفات ، وهى اللطافة . والكثافة ، وكونها علوية وسفلية قالوا وهاتان الحجتان ضعيفتان .

﴿ أما الحجة الأولى ﴾ فلأنا نقول ، كما أن الجسم من حيث إنه جسم له حد واحد ، وحقيقة واحدة ، فكذا العرض من حيث إنه عرض له حد واحد ، وحقيقة واحدة فيلزم منه أن تكون الأعراض كلها متساوية فى تمام الماهية ، وهذا مما لا يقوله عاقل ، بل الحق عند الفلاسفة أنه ليس للأعراض البتة قدر مشترك بينها من الذاتيات ، إذ لو حصل بينها قدر مشترك ، لكان ذلك المشترك جنساً لها ، ولو كان كذلك لما كانت التسعة أجناساً عالية بل كانت أنواع جنس واحد ، إذا ثبت هذا فنقول : الأعراض من حيث أنها أعراض لها حقيقة واحدة ، ولم يلزم من ذلك أن يكون بينها ذاتى مشترك أصلا ، فضلا عن أن تكون متساوية فى تمام الماهية ، فلم لايجوز أن يكون الحال فى الجسم كذلك ، فإنه كما أن الأعراض مختلفة فى تمام الماهية ، ثم إن تلك المختلفات متساوية فى

وصف عارض وهو كونها عارضة لموضوعاتها ، فكذا من الجائز أن تكون ماهيات الأجسام مختلفة فى تمام ماهياتها ثم إنها تكون متساوية فى وصف عارض ، وهو كونها مشاراً إليها بالحس وحاصلة فى الحيز والمكان ، وموصوفة بالأبعاد الثلاثة ، فهذا الاحتمال لا دافع له أصلا .

﴿ وأما الحجة الثانية ﴾ وهى قولهم إنه يمكن تقسيم الجسم إلى اللطيف والكثيف فهى أيضاً منقوضة بالعرض فانه يمكن تقسيم العرض إلى الكيف والكم ولم يلزم أن يكون هناك قدر مشترك من الذاتى فضلا عن التساوى فى كل الذاتيات فلم لا يجوز أن يكون الأمر ههنا أيضاً كذلك إذا ثبت أنه لا امتناع فى كون الأجسام مختلفة ولم يدل دليل على بطلان هذا الاحتمال ، فحينئذ قالوا لا يمتنع فى بعض الأجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة لسائر أنواع الهواء فى الماهية ثم تكون تلك الماهية تقتضى لذاتها علما مخصوصاً وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة ، وعلى هذا التقدير يكون القول بالجن ظاهر الاحتمال وتكون قدرتها على التشكل بالأشكال المختلفة ظاهرة الاحتمال .

﴿ القول الثانى ﴾ قول من قال الأجسام متساوية فى تمام الماهية ، والقائلون بهذا المذهب أيضاً فرقتان .

﴿ الفرقة الأولى ﴾ الذين زعموا أن البنية ليست شرطا للحياة وهذا قول الأشعرى وجمهور أتباعه وأدلتهم فى هذا الباب ظاهرة قوية ، قالوا ولو كانت البنية شرطا للحياة لكان إما أن يقال إن الحياة الواحدة قامت بمجموع الأجزاء أو يقال قام بكل واحد من الأجزاء حياة على حدة ، والأول محال لأن حلول العرض الواحد فى المحال الكثيرة دفعة واحدة غير معقول ، والثانى أيضاً باطل لأن الأجزاء التى منها تألف الجسم متساوية والحياة القائمة بكل واحد منها مساوية للحياة القائمة بالجزء الآخر وحكم الشىء حكم مثله ، فلو افتقر قيام الحياة بهذا الجزء إلى قيام تلك الحياة بذلك الجزء لحصل هذا الافتقار من الجانب الآخر فيلزم وقوع الدور وهو محال ، وإن لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ ثبت أن قيام الحياة بهذا الجزء لا يتوقف على قيام الحياة الثانية بذلك الجزء الثانى ، وإذا بطل هذا التوقف ثبت أنه يصح كون الجزء الواحد موصوفا بالحياة والعلم والقدرة والإرادة وبطل القول بأن البنية شرط ، قالوا وأما دليل المعتزلة وهو أنه لابد من البنية فليس إلا الاستقراء وهو أنا رأينا أنه متى فسدت البنية بطلت الحياة ومتى لم تفسد بقيت الحياة فوجب توقف الحياة على حصول البنية ، إلا أن هذا ركيك ، فإن الاستقراء لا يفيد القطع بالوجوب ، فما الدليل على أن حال من لم يشاهد كحال ما شوهد ، وأيضاً فلأن هذا الكلام إنما يستقيم على قول من ينكر خرق العادات ، أما من يجوزها فهذا لا يتمشى على مذهبه والفرق بينهما فى جعل بعضها على سبيل العادة وجعل بعضها على سبيل الوجوب تحكم محض لا سبيل إليه ، فثبت أن البنية ليست شرطاً فى الحياة ، وإذا ثبت هذا لم يبعد أن يخلق الله تعالى فى الجوهر الفرد علماً بأمور كثيرة وقدرة

على أشياء شاقة شديدة ، وعند هذا ظهر القول بإمكان وجود الجن ، سواء كانت أجسامهم لطيفة أو كثيفة ، وسواء كانت أجزاؤهم كبيرة أو صغيرة .

﴿ القول الثانى ﴾ أن البنية شرط الحياة وأنه لابد من صلابة فى البنية حتى يكون قادراً على الأفعال الشاقة فههنا مسألة أخرى ، وهى أنه هل يمكن أن يكون المرئى حاضراً والموانع مرتفعة والشرائط من القرب والبعد حاصلة ، وتكون الحاسة سليمة ، ثم مع هذا لا يحصل الإدراك أو يكون هذا ممتنعاً عقلا ؟ أما الأشعرى وأتباعه فقد جوزوه ، وأما المعتزلة فقد حكموا بامتناعه عقلا ، والأشعرى احتج على قوله بوجوه عقلية ونقلية ، أما العقلية فأمران : (الأول) أنا نرى الكبير من البعد صغيراً وما ذاك إلا أنا نرى بعض أجزاء ذلك البعيد دون البعض مع أن نسبة الحاسة وجميع الشرائط إلى تلك الأجزاء المرئية كهى بالنسبة إلى الأجزاء التى هى غير مرئية فعلمنا أن مع حصول سلامة الحاسة وحضور المرئى وحصول الشرائط وانتفاء الموانع لا يكون الإدراك واجباً (الثانى) أن الجسم الكبير لامعنى له إلا مجموع تلك الأجزاء المتألفة ، فإذا رأينا ذلك الجسم الكبير على مقدار من البعد فقد رأينا تلك الأجزاء ، فإما أن تكون رؤية هذا الجزء مشروطة برؤية ذلك الجزء الآخر أو لا تكون ، فإن كان الأول يلزم الدور لأن الأجزاء متساوية فلو افتقرت رؤية هذا الجزء إلى رؤية ذلك الجزء لافتقرت أيضاً رؤية ذلك الجزء إلى رؤية هذا الجزء فيقع الدور ، وإن لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ رؤية الجوهر الفرد على ذلك القدر من المسافة تكون ممكنة ، ثم من المعلوم أن ذلك الجوهر الفرد لو حصل وحده من غير أن ينضم إليه سائر الجواهر فإنه لا يرى ، فعلمنا أن حصول الرؤية عند اجتماع الشرائط لا يكون واجباً بل جائزاً ، وأما المعتزلة فقد عولوا على أنا لو جوزنا ذلك لجوزنا أن يكون بحضرتنا طبلات وبوقات ولا نراها ولا نسمعها فإذا عارضناهم بسائر الأمور العادية وقلنا لهم فجوزوا أن يقال : انقلبت مياه البحار ذهباً وفضة ، والجبال ياقوتاً وزبرجداً ، أو حصلت فى السماء حال ما غمضت العين ألف شمس وقمر ، ثم كما فتحت العين أعدمها الله عجزوا عن الفرق ، والسبب فى هذا التشوش أن هؤلاء المعتزلة نظروا إلى هذه الأمور المطردة فى مناهج العادات ، فوهموا أن بعضها واجبة ، وبعضها غير واجبة ، ولم يجدوا قانوناً مستقيماً ومأخذاً سليماً فى الفرق بين البابين ، فتشوش الأمر عليهم ، بل الواجب أن يسوى بين الكل ، فيحكم على الكل بالوجوب ، كما هو قول الفلاسفة ، أو على الكل بعدم الوجوب . كما هو قول الأشعرى . فأما التحكم فى الفرق فهو بعيد ، إذا ثبت هذا ظهر جواز القول بالجن ، فإن أجسامهم وإن كانت كثيفة قوية إلا أنه لا يمتنع أن لا نراها ، وإن كانوا حاضرين هذا على قول الأشعرى . فهذا هو تفصيل هذه الوجوه ، وأنا متعجب من هؤلاء المعتزلة أنهم كيف يصدقون ما جاء فى القرآن من إثبات الملك والجن مع استمرارهم على مذاهبهم ، وذلك لأن القرآن دل على أن للملائكة قوة عظيمة على الأفعال الشاقة ، والجن أيضاً كذلك ، وهذه القدرة لا تثبت إلا فى الأعضاء الكثيفة الصلبة ،

فإذاً يجب فى الملك والجن أن يكون كذلك ، ثم إن هؤلاء الملائكة حاضرون عندنا أبداً ، وهم الكرام الكاتبون والحفظة ، ويحضرون أيضاً عند قبض الأرواح ، وقد كانوا يحضرون عند الرسول ﷺ ، وأن أحداً من القوم ماكان يراهم ، وكذلك الناس الجالسون عند من يكون فى النزع لا يرون أحداً ، فإن وجبت رؤية الكثيف عند الحضور فلم لا نراها وإن لم تجب الرؤية فقد بطل مذهبهم ، وإن كانوا موصوفون بالقوة والشدة مع عدم الكثافة والصلابة فقد بطل قولهم : إن البنية شرط الحياة ، وإن قالوا إنها أجسام لطيفة وحية ، ولكنها للطافتها لا تقدر على الأعمال الشاقة ، فهذا إنكار لصريح القرآن ، وبالجملة فحالهم فى الإقرار بالملك والجن مع هذه المذاهب عجيب ، وليتهم ذكروا على صحة مذاهبهم شبهة مخيلة فضلا عن حجة مبينة ، فهذا هو التنبيه على ما فى هذا الباب من الدقائق والمشكلات ، وبالله التوفيق .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفت الروايات فى أنه عليه الصلاة والسلام ، هل رأى الجن أم لا ؟

(فالقول الأول) وهو مذهب ابن عباس أنه عليه السلام ما رآهم ، قال إن الجن كانوا يقصدون السماء فى الفترة بين عيسى ومحمد فيستمعون أخبار السماء ويلقونها إلى الكهنة فلما بعث الله محمداً عليه السلام حرست السماء ، وحيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت الشهب عليهم فرجعوا إلى إبليس وأخبروه بالقصة فقال لابد لهذا من سبب فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها واطلبوا السبب فوصل جمع من أولئك الطالبين إلى تهامة فرأوا رسول الله ﷺ فى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا والله هو الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم وقالوا ياقومنا (إنا سمعنا قرآناً عجباً) فأخبر الله تعالى محمداً عليه السلام عن ذلك الغيب وقال (قل أوحى إلى) كذا وكذا ، قال وفى هذا دليل على أنه عليه السلام لم ير الجن إذ لو رآهم لما أسند معرفة هذه الواقعة إلى الوحى فإن ما عرف وجوده بالمشاهدة لا يسند إثباته إلى الوحى ، فإن قيل الذين رموا بالشهب هم الشياطين والذين سمعوا القرآن هم الجن فكيف وجه الجمع ؟ قلنا فيه وجهان : (الأول) أن الجن كانوا مع الشياطين فلما رمى الشياطين أخذ الجن الذين كانوا معهم فى تجسس الخبر (الثانى) أن الذين رموا بالشهب كانوا من الجن إلا أنه قيل لهم شياطين كما قيل شياطين الجن والإنس فإن الشيطان كل متمرد بعيد عن طاعة الله ، واختلفوا فى أن أولئك الجن الذين سمعوا القرآن من هم ؟ فروى عاصم عن ذر قال قدم رهط زوبعة وأصحابه مكة على النبى صلى الله عليه وسلم فسمعوا قراءة النبى صلى عليه وسلم ثم انصرفوا فذلك قوله (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عدداً وعامة جنود إبليس منهم .

(القول الثانى) وهو مذهب ابن مسعود أنه أمر النبى ﷺ بالمسير إليهم ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم إلى الإسلام ، قال ابن مسعود ، قال عليه الصلاة والسلام « أمرت أن أتلو القرآن على الجن

فمن يذهب معي ؟ فسكتوا ، ثم قال الثانية فسكتوا ، ثم قال الثالثة ، فقال عبدالله قلت أنا أذهب معك يارسول الله قال فانطلق حتى إذا جاء الحجون عند شعب ابن أبي دب ، خط علي خطاً فقال لاتجاوزه ، ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزط [1] يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه ، فغاب عن بصري فقمت ، فأومأ إلي بيده أن إجلس ، ثم تلا القرآن ، فلم يزل صوته يرتفع ، ولصقوا بالأرض حتى صرت أسمع صوتهم ولا أراهم . وفي رواية أخرى ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنت ؟ قال أنا نبي الله ، قالوا فمن يشهد لك على ذلك ؟ قال هذه الشجرة ، تعالى ياشجرة ، فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انصبت بين يديه ، فقال على ماذا تشهدين لي ؟ قالت أشهد أنك رسول الله ، قال اذهبي ، فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت . قال ابن مسعود : فلما عاد إلي ، قال أردت أن تأتيني ؟ قلت نعم يارسول الله . قال ماكان ذلك لك ، هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين ، فسألوني الزاد . فزودتهم العظم والبعر ، فلا يستطيبن أحد بعظم ولا بعر .

واعلم أنه لاسبيل إلى تكذيب الروايات ، وطريق التوفيق بين مذهب ابن عباس ، ومذهب ابن مسعود من وجوه (أحدها) لعل ما ذكره ابن عباس وقع أولا ، فأوحى الله تعالى إليه بهذه السورة ، ثم أمر بالخروج إليهم بعد ذلك ، كما روى ابن مسعود (وثانيها) أن بتقدير أن تكون واقعة الجن مرة واحدة ، إلا أنه عليه السلام أمر بالذهاب إليهم ، وقراءة القرآن عليهم ، إلا أنه عليه السلام ماعرف أنهم ماذا قالوا ، وأي شيء فعلوا ، فالله تعالى أوحى إليه أنه كان كذا وقالوا كذا (وثالثها) أن الواقعة كانت مرة واحدة ، وهو عليه السلام رآهم وسمع كلامهم ، وهم آمنوا به ، ثم لما رجعوا إلى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية (إنا سمعنا قرآناً عجباً) وكان كذا وكذا ، فأوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما قالوه لأقوامهم ، وإذا كانت هذه الوجوه محتملة فلا سبيل إلى التكذيب .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اعلم أن قوله تعالى (قل) أمر منه تعالى لرسوله أن يظهر لأصحابه ما أوحى الله في واقعة الجن ، وفيه فوائد (إحداها) أن يعرفوا بذلك أنه عليه السلام كما بعث إلى الإنس ، فقد بعث إلى الجن (وثانيها) أن يعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه ، فآمنوا بالرسول (وثالثها) أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس (ورابعها) أن يعلم أن الجن يستمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا (وخامسها) أن يظهر أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان ، وفي كل هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها الناس .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ الإيحاء إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء كالإلهام وإنزال الملك ويكون ذلك في سرعة من قولهم : الوحى الوحى والقراءة المشهورة ، أوحى بالألف ، وفي رواية يونس

(١) يروى الحديث هكذا : أجسامهم كأجسام الزط ورؤسهم كرؤس المكاكي . يعني عظام الأجسام صغار الرءوس والمكاكي جمع مكاء وهو طائر صغير .

فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ۝٣

وهرون ، عن أبي عمرو وحى بضم الواو بغير ألف وهما لغتان . يقال وحى إليه وأوحى إليه وقرىء أحى بالهمز من غير واو ، وأصله وحى ، فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأذن (وإذا الرسل أقتت) وقوله تعالى ﴿ أنه استمع نفر من الجن ﴾ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أجمعوا على أن قوله (أنه استمع) بالفتح وذلك لأنه نائب فاعل أوحى فهو كقوله (وأوحى إلى هذا القرآن) وأجمعوا على كسر إنا فى قوله (إنا سمعنا) لأنه مبتدأ محكى بعد القول ، ثم ههنا قراءتان (إحداهما) أن نحمل البواقى على الموضعين اللذين بينا أنهم أجمعوا عليهما فما كان من الوحى فتح ، وما كان من قول الجن كسر ، وكلها من قول الجن إلا الآخرين . وهما قوله (وأن المساجد لله ، وأنه لما قام) ، (وثانيهما) فتح الكل والتقدير (فآمنا به) وآمنا بأنه تعالى (جد ربنا) وبأنه كان يقول سفيهنا وكذا البواقى ، فإن قيل ههنا إشكال من وجهين (أحدهما) أنه يقبح إضافة الإيمان إلى بعض هذه السورة فإنه يقبح أن يقال وآمنا بأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً (والثانى) وهو أنه لا يعطف على الهاء المخفوضة إلا بإظهار الخافض لا يقال آمنا به وزيد ، بل يقال آمنا به وبزيد (والجواب) عن الإشكالين أنا إذا حملنا قوله آمنا على معنى صدقنا وشهدنا زال الإشكالان .

﴿ المسألة الثانية ﴾ نفر من الجن جماعة منهم مابين الثلاثة إلى العشرة روى أن ذلك النفر كانوا يهوداً ، وذكر الحسن أن فيهم يهوداً ونصارى ومجوساً ومشركين ، ثم اعلم أن الجن حكوا أشياء :

﴿ النوع الأول ﴾ مما حكوه قوله تعالى ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ﴾ أى قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله (فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين) ، (قرآنا عجباً) أى خارجاً عن حد أشكاله ونظائره ، (وعجباً) مصدر يوضع موضع العجيب ولاشك أنه أبلغ من العجيب ، (يهدى إلى الرشد) أى إلى الصواب ، وقيل إلى التوحيد (فآمنا به أى بالقرآن) ويمكن أن يكون المراد فآمنا بالرشد الذى فى القرآن ، وهو التوحيد (ولن نشرك بربنا أحداً أى ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به وهذا يدل على أن أولئك الجن كانوا من المشركين .

﴿ النوع الثانى ﴾ مما ذكره الجن ، أنهم كما نفوا عن أنفسهم الشرك ، نزهوا ربهم عن الصاحبة والولد .

فقالوا ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى الجد قولان (الأول) الجد فى اللغة العظمة يقال جد فلان أى عظم

وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾

ومنه الحديث « كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جد فينا » أى جد قدره وعظم ، لأن الصاحبة تتخذ للحاجة إليها والولد للتكثر به والاستئناس ، وهذه من سمات الحدوث وهو سبحانه منزه عن كل نقص .

﴿ القول الثانى ﴾ الجد الغنى ومنه الحديث « لا ينفع ذا الجد منك الجد » قال أبو عبيدة أى لا ينفع ذا الغنى منك غناه ، وكذلك الحديث الآخر « قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء وإذا أصحاب الجد محبوسون » يعنى أصحاب الغنى فى الدنيا ، فيكون المعنى وأنه تعالى غنى عن الاحتياج إلى الصاحبة والاستئناس بالولد .

وعندى فيه ﴿ قول ثالث ﴾ وهو أن جد الإنسان أصله الذى منه وجوده فجعل الجد مجازاً عن الأصل ، فقوله تعالى (جد ربنا) معناه تعالى أصل ربنا وأصله حقيقته المخصوصة التى لنفس تلك الحقيقة من حيث إنها هى تكون واجبة الوجود فيصير المعنى أن حقيقته المخصوصة متعالية عن جميع جهات التعلق بالغير لأن الواجب لذاته يجب أن يكون واجب الوجود من جميع جهاته ، وما كان كذلك استحال أن يكون له صاحبة وولد .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرىء جدا ربنا بالنصب على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد ، وكأن هؤلاء الجن لما سمعوا القرآن تنبهوا لفساد ما عليه كفرة الجن فرجعوا أولا عن الشرك وثانياً عن دين النصارى .

﴿ النوع الثالث ﴾ مما ذكره الجن قوله تعالى : ﴿ أنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً ﴾ السفه خفة العقل والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره ومنه أشط فى الصوم إذا أبعد فيه أى يقول قولا هو فى نفسه شطط لفرط ما أشط فيه :

واعلم أنه لما كان الشطط هو مجاوزة الحد ، وليس فى اللفظ ما يدل على أن المراد مجاوزة الحد فى جانب النفى أو فى جانب الإثبات ، فحينئذ ظهر أن كلا الأمرين مذموم فمجاوزة الحد فى النفى تفضى إلى التعطيل ومجاوزة الحد فى الإثبات تفضى إلى التشبيه ، وإثبات الشريك والصاحبة والولد . وكلا الأمرين شطط ومذموم .

(النوع الرابع) قوله تعالى ﴿ وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ معنى الآية أنا إنما أخذنا قول الغير ، لأنا ظننا أنه لا يقال الكذب على الله ، فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم قد يكذبون ، وهذا منهم إقرار بأنهم إنما وقعوا فى تلك الجهالات

وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

بسبب التقليد ، وأنهم إنما تخلصوا عن تلك الظلمات ببركة الاستدلال والاحتجاج .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله كذبا بم نصب ؟ فيه وجوه (أحدها) أنه وصف مصدر محذوف والتقدير أن لن تقول الإنس والجن على الله قولا كذباً (وثانيها) أنه نصب نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول (وثالثها) أن من قرأ (أن لن تقول) وضع كذباً موضع تقولا ، ولم يجعله صفة ، لأن التقول لا يكون إلا كذبا .

(النوع الخامس) — قوله تعالى ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ﴾ فيه قولان (الأول) وهو قول جمهور المفسرين أن الرجل فى الجاهلية إذا سافر فأمسى فى قفر من الأرض ، قال أعوذ بسيد هذا الوادى أو بعزيز هذا المكان من شر سفهاء قومه ، فيبيت فى جوار منهم حتى يصبح ، وقال آخرون ، كان أهل الجاهلية ، إذا قحطوا بعثوا رائدهم ، فإذا وجد مكاناً فيه كلأ وماء رجع إلى أهله فيناديهم ، فإذا انتهوا إلى تلك الأرض نادوا نعوذ برب هذا الوادى من أن يصيبنا آفة يعنون الجن ، فإن لم يفزعهم أحد نزلوا ، وربما تفزعهم الجن فيهربون (القول الثانى) المراد أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الإنس أيضاً ، لكن من شر الجن ، مثل أن يقول الرجل ، أعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادى ، وأصحاب هذا التأويل إنما ذهبوا إليه ، لأن الرجل اسم الإنس لا اسم الجن ، وهذا ضعيف ، فإنه لم يقم دليل على أن الذكر من الجن لا يسمى رجلا ، أما قوله ﴿ فزادوهم رهقاً ﴾ قال المفسرون معناه زادوهم إثماً وجرأة وطغياناً وخطيئة وغياً وشراً ، كل هذا من ألفاظهم ، قال الواحدى الرهق غشيان الشيء ، ومنه قوله تعالى (ولا يرهق وجوههم قتر) وقوله (ترهقها قترة) ورجل مرهق أى يغشاه السائلون . ويقال رهقتنا الشمس إذا قربت ، والمعنى أن رجال الإنس إنما استعاذوا بالجن خوفاً من أن يغشاهم الجن ، ثم إنهم زادوا فى ذلك الغشيان ، فإنهم لما تعوذوا بهم ، ولم يتعوذوا بالله استذلوهم واجترؤا عليهم فزادوهم ظلماً ، وهذا معنى قول عطاء خبطوهم وخنقوهم ، وعلى هذا القول زادوا من فعل الجن وفى الآية قول آخر وهو أن زادوا من فعل الإنس وذلك لأن الإنس لما استعاذوا بالجن فالجن يزدادون بسبب ذلك التعوذ طغياناً فيقولون سدنا الجن والإنس ، والقول الأول هو اللائق بسياق الآية والموافق لنظمها .

﴿ النوع السادس ﴾ قوله تعالى ﴿ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ﴾ .

اعلم أن هذه الآية والتى قبلها يحتمل أن يكونا من كلام الجن ، ويحتمل أن يكونا من جملة الوحى فإن

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾

كانا من كلام الجن وهو الذى قاله بعضهم مع بعض ، كان التقدير وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن ، وإن كانا من الوحى كان التقدير: وأن الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش . وعلى التقديرين فالآية دلت على أن الجن كما أنهم كان فيهم مشرك ويهودى ونصرانى ففيهم من ينكر البعث ، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يبعث أحداً للرسالة على ماهو مذهب البراهمة ، واعلم أن حمله على كلام الجن أولى لأن ماقبله وما بعده كلام الجن فإلقاء كلام أجنبى عن كلام الجن فى البين غير لائق .

﴿ النوع السابع ﴾ قوله تعالى ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾ اللمس المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف يقال : لمسه والتمسه ، ومثله الجس يقال : جسوه بأعينهم وتجسسوه ، والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها ، والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شداداً .

﴿ النوع الثامن ﴾ قوله تعالى ﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ أى كنا نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب ، وفى قوله (شهاباً رصدا) وجوه (أحدها) قال مقاتل يعنى رمياً من الشهب ورصداً من الملائكة ، وعلى هذا يجب أن يكون التقدير شهاباً ورصداً لأن الرصد غير الشهاب وهو جمع راصد (وثانيها) قال الفراء أى شهاباً قد أرصد له ليرجم به ، وعلى هذا الرصد نعت للشهاب ، وهو فعل بمعنى مفعول (وثالثها) يجوز أن يكون رصداً أى راصداً ، وذلك لأن الشهاب لما كان معداً له ، فكأن الشهاب راصد له ومترصد له واعلم أنا قد استقصينا فى هذه المسألة فى تفسير ، قوله تعالى : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) فإن قيل هذه الشهب ، كانت موجودة قبل المبعث ، ويدل عليه أمور (أحدها) أن جميع الفلاسفة المتقدمين ، تكلموا فى أسباب انقضاض هذه الشهب ، وذلك يدل على أنها كانت موجودة قبل المبعث (وثانيها) قوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) ذكر فى خلق الكواكب فائدتين ، التزيين ورجم الشياطين (وثالثها) أن وصف هذا الانقضاض جاء فى شعر أهل الجاهلية ، قال أوس بن حجر :

فانقض كالدرى يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع : يرد علينا العير من دون إلفه أو الثور كالدرى يتبعه الدم

وروى الزهرى ، عن على ، بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما « بينا رسول الله ﷺ

وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

جالس فى نفر من الأنصار إذ رمى بنجم فاستنار ، فقال : ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية ؟ فقالوا كنا نقول : يموت عظيم ، أو يولد عظيم » الحديث إلى آخره ذكرناه فى تفسير قوله تعالى : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) قالوا : فثبت بهذه الوجوه ، أن هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث ، فما معنى تخصيصها بمحمد عليه الصلاة والسلام ؟ و﴿ الجواب ﴾ مبنى على مقامين :

﴿ المقام الأول ﴾ أن هذه الشهب ماكانت موجودة قبل المبعث وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما ، وأبى بن كعب ، روى عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء فيستمعون الوحى فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً ، أما الكلمة فإنها تكون حقة ، وأما الزيادات فتكون باطلة فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم ، ولم تكن النجوم يرى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس ما هذا إلا لأمر حدث فى الأرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلى ، الحديث إلى آخره ، وقال أبى بن كعب : لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى بعث رسول الله فرمى بها ، فرأت قريش أمراً ما رأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون رقابهم ، يظنون أنه الفناء . فبلغ ذلك بعض أكابرهم ، فقال لم فعلتم ما أرى ؟ قالوا ؟ رمى بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء ، فقال اصبروا فإن تكن نجوماً معروفة فهو وقت فناء الناس ، وإن كانت نجوماً لا تعرف فهو أمر قد حدث فنظروا ، فإذا هى لا تعرف ، فأخبروه فقال فى الأمر مهلة ، وهذا عند ظهور نبى فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم أبو سفيان على أمواله وأخبر أولئك الأقوام بأنه ظهر محمد بن عبد الله ويدعى أنه نبى مرسل ، وهؤلاء زعموا أن كتب الأوائل قد توالت عليها التحريفات فلعل المتأخرين ألحقوا هذه المسألة بها طعناً منهم فى هذه المعجزة ، وكذا الأشعار المنسوبة إلى أهل الجاهلية لعلها مختلقة عليهم ومنحولة .

﴿ المقام الثانى ﴾ وهو الأقرب إلى الصواب أن هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث إلا أنها زيدت بعد المبعث وجعلت أكمل وأقوى ، وهذا هو الذى يدل عليه لفظ القرآن ، لأنه قال : (فوجدناها ملئت) وهذا يدل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله (نقعد منها مقاعد) أى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها ، فعلى هذا الذى حمل الجن على الضرب فى البلاد وطلب السبب ، إنما هو كثرة الرجم ومنع الاستراق بالكلية .

﴿ النوع التاسع ﴾ قوله تعالى ﴿ وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾ وفيه قولان : (أحدهما) أنا لا ندرى أن المقصود من المنع من الاستراق هو أشر أريد بأهل الأرض أم صلاح وخير (والثانى) لا ندرى أن المقصود من إرسال محمد الذى عنده منع من الاستراق هو أن يكذبوه فيهلكوا كما هلك من كذب من الأمم ، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

﴿ النوع العاشر ﴾ قوله تعالى ﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ﴾ . أى منا الصالحون المتقون أى ومنا قوم دون ذلك لحذف الموصوف كقوله (وما منا إلا له مقام معلوم) ثم المراد بالذين هم دون الصالحين من؟ فيه قولان (الأول) أنهم المقتصدون الذين يكونون فى الصلاح غير كاملين (والثانى) أن المراد من لا يكون كاملا فى الصلاح ، فيدخل فيه المقتصدون والكافرون ، والقدة من قدد ، كالقطعة من قطع . ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق ، وفى تفسير الآية وجوه (أحدها) المراد كنا ذوى (طرائق قدداً) أى ذوى مذاهب مختلفة . قال السدى : الجن أمثالكم ، فيهم مرجئة وقدرية وروافض وخوارج (وثانيها) كنافى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وثالثها) كانت طرائقنا طرائق قدداً على حذف المضاف الذى هو الطرائق ، وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه .

﴿النوع الحادى عشر﴾ قوله تعالى ﴿ وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هرباً ﴾ الظن ، بمعنى اليقين ، وفى الأرض وهرباً ، فيه وجهان (الأول) أنهما حالان ، أى لن نعجزه كائنين فى الأرض أينما كنا فيها ، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء (والثانى) لن نعجزه فى الأرض إن أراد بنا أمراً ، ولن نعجزه هرباً إن طلبنا .

﴿ النوع الثانى عشر ﴾ قوله تعالى ﴿ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ﴾ (لما سمعنا الهدى) أى القرآن ، قال تعالى (هدى للمتقين آمنا به) أى آمنا بالقرآن (فلا يخاف) فهو لا يخاف ، أى فهو غير خائف ، وعلى هذا يكون الكلام فى تقدير جملة من المبتدأ والخبر ، أدخل الفاء عليها لتصير جزاء للشرط الذى تقدمها ، ولولا ذاك لقيل لا يخف ، فإن قيل أى فائدة فى رفع الفعل ، وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له ووجوب إدخال الفاء ، وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال لا يخف ، قلنا الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك ، فكأنه قيل فهو لا يخاف ، فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة ، وأنه هو المختص لذلك دون غيره ، لأن قوله فهو لا يخاف معناه أن غيره يكون خائفاً ، وقرأ الأعمش : فلا يخف ، وقوله تعالى (بخساً ولا رهقاً) البخس النقص ، والرهق الظلم ، ثم فيه وجهان (الأول) لا يخاف جزاء بخس ولا رهق ، لأنه لم يبخس أحداً حقاً ، ولا ظلم أحداً ، فلا يخاف جزاءهما (الثانى) لا يخاف أن

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

يبخس ، بل يقطع بأنه يجزى الجزاء الأوفى ، ولا يخاف أن ترهقه ذلة من قوله (ترهقهم ذلة) .

﴿ النوع الثالث عشر ﴾ قوله تعالى ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ﴾ القاسط الجائر ، والمقسط العادل ، وذكرنا معنى قسط وأقسط فى أول سورة النساء ، فالقاسطون ، الكافرون الجائرون عن طريق الحق ، وعن سعيد بن جبير : أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول فى ؟ قال قاسط عادل ، فقال القوم ما أحسن ما قال ، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل ، فقال الحجاج : يا جهلة إنه سمانى ظالماً مشركا ، وتلا لهم قوله (وأما القاسطون) وقوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) ، (تحروا رشداً) أى قصدوا طريق الحق ، قال أبو عبيدة : تحروا توخوا ، قال المبرد : أصل التحرى من قولهم : ذلك أحرى ، أى أحق وأقرب ، وبالحرى أن تفعل كذا ، أى يجب عليك .

ثم إن الجن ذموا الكافرين فقالوا ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ وفيه سؤالان :

﴿ الاول ﴾ لم ذكر عقاب القاسطين ، ولم يذكر ثواب المسلمين ؟ (الجواب) بل ذكر ثواب المؤمنين وهو قوله تعالى (تحروا رشداً) أى توخوا رشداً عظيماً لا يبلغ كنهه إلا الله تعالى ، ومثل هذا لا يتحقق إلا فى الثواب .

﴿ السؤال الثانى ﴾ الجن مخلوقين من النار ، فكيف يكونون حطباً للنار ؟ (الجواب) أنهم وإن خلقوا من النار ، لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية وصاروا لحماً ودماً هكذا ، قيل وههنا آخر كلام الحسن ،

قوله تعالى :﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءا غدقاً ، لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً ﴾ هذا من جملة الموحى إليه ، والتقدير (قل أوحى إلى أنه استمع نفر) ﴿ وأن لو استقاموا ﴾ فيكون هذا هو النوع الثانى مما أوحى إليه ، وههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أن مخففة من الثقيلة ، والمعنى وأوحى إلى أن الشأن ، والحديث لو استقاموا لكان كذا وكذا . قال الوحدى : وفصل لو بينها وبين الفعل . كفصل لا والسين فى

قوله (أن لا يرجع إليهم قولا) و (علم أن سيكون) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الضمير فى قوله (استقاموا) إلى من يرجع ؟ فيه قولان : قال بعضهم إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم ، أى هؤلاء القاسطون لو آمنوا لفعلنا بهم كذا وكذا . وقال آخرون : بل المراد الإنس ، واحتجوا عليه بوجهين (الأول) أن الترغيب بالانتفاع بالماء الغدق إنما يليق بالإنس لا بالجن (والثانى) أن هذه الآية إنما نزلت بعد ما حبس الله المطر عن أهل مكة سنين ، أقصى ما فى الباب أنه لم يتقدم ذكر الإنس ، ولكنه لما كان ذلك معلوماً جرى مجرى قوله (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) وقال القاضى الأقرب أن الكل يدخلون فيه . وأقول يمكن أن يحتج لصحة قول القاضى بأنه تعالى لما أثبت حكما معللا بعلة وهو الاستقامة ، وجب أن يعم الحكم بعموم العلة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الغدق بفتح الدال وكسرها : الماء الكثير ، وقرىء بهما يقال غدقت العين بالكسر فهى غدقة ، وروضة مغدقة أى كثيرة الماء ، ومطر مغدوق وغيداق وغيدق إذا كان كثير الماء ، وفى المراد بالماء الغدق فى هذه الآية ثلاثة أقوال (أحدها) أنه الغيث والمطر ، (والثانى) وهو قول أبى مسلم أنه إشارة إلى الجنة كما قال (جنات تجرى من تحتها الأنهار) (وثالثها) أنه المنافع والخيرات جعل الماء كناية عنها ، لأن الماء أصل الخيرات كلها فى الدنيا .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ إن قلنا الضمير فى قوله (استقاموا) راجع إلى الجن كان فى الآية قولان (أحدهما) لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ، ونظيره قوله تعالى (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) وقوله (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا) وقوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه) وقوله (فقلت استغفروا ربكم - إلى قوله - ويمددكم بأموال وبنين) وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع ، فان اللائق بالجن هو هذا الماء المشروب (والثانى) أن يكون المعنى وأن لو استقام الجن الذين سمعوا القرآن على طريقتهم التى كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق ، ونظيره قوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة) واختار الزجاج الوجه الأول قال لأنه تعالى ذكر الطريقة معرفة بالألف واللام فتكون راجعة إلى الطريقة المعروفة المشهورة وهى طريقة الهدى والذاهبون إلى التأويل الثانى استدلوا عليه بقوله بعد هذه الآية (لنفتنهم فيه) فهو كقوله (إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً) ويمكن الجواب عنه أن من آمن فأنعم الله عليه كان ذلك الإنعام أيضاً ابتلاء واختباراً حتى يظهر أنه هل يشتغل بالشكر أم لا ، وهل ينفقه فى طلب مراضى الله ، أوفى مراضى الشهوة والشيطان ، وأما الذين قالوا الضمير عائد إلى الإنس ، فالوجهان عائدان فيه بعينه

وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

وههنا يكون إجراء قوله (لأسقيناهم ماء غدقاً) على ظاهره أولى لأن انتفاع الإنس بذلك أتم وأكمل .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ احتج أصحابنا بقوله لنفتنهم على أنه تعالى يضل عباده ، والمعتزلة أجابوا بأن الفتنة هي الاختبار كما يقال فتنت الذهب بالنار لاخلق الضلال ، واستدلت المعتزلة باللام فى قوله لنفتنهم على أنه تعالى إنما يفعل لغرض ، وأصحابنا أجابوا أن الفتنة بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الآية ، على أن اللام ليست للغرض فى حق الله ، وقوله تعالى (ومن يعرض عن ذكر ربه) أى عن عبادته أو عن موعظته ، أو عن وحيه يسلكه ، وقرىء بالنون مفتوحة ومضمومة أى ندخله عذاباً ، والأصل نسلكه فى عذاب كقوله (ماسلككم فى سقر) إلا أن هذه العبارة أيضاً مستقيمة لوجهين (الأول) أن يكون التقدير نسلكه فى عذاب ، ثم حذف الجار وأوصل الفعل ، كقوله (واختار موسى قومه) (والثانى) أن يكون معنى نسلكه أى ندخله ، يقال سلكه وأسلكه ، والصعد مصدر صعد ، يقال صعد صعداً وصعوداً ، فوصف به العذاب لأنه يصعد [فوق] طاقة المعذب أى يعلوه ، ويغلبه ، فلا يطيقه ، ومنه قول عمر ما تصعدنى شىء ما تصعدتنى خطبة النكاح ، يريد ماشق على ، ولاغلبنى ، وفيه قول آخر ، وهو ماروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن صعداً جبل فى جهنم ، وهو صخرة ملساء ، فيكلف الكافر صعودها ثم يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها فى أربعين سنة ، فإذا بلغ أعلاها جذب إلى أسفلها ، ثم يكلف الصعود مرة أخرى ، فهذا دأبه أبداً ، ونظير هذه الآية قوله تعالى (سأرهقه صعودا) .

(النوع الثالث) من جملة الموحى قوله تعالى : ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ التقدير : قل أوحى إلى أن المساجد لله ، ومذهب الخليل ، أن التقدير ولأن المساجد لله فلا تدعوا ، فعلى هذا اللام متعلقة ، فلا تدعوا أى فلا تدعوا مع الله أحدا فى المساجد لأنها لله خاصة ، ونظيره قوله (وأن هذه أمتكم) على معنى ، ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، أى لأجل هذا المعنى فاعبدون .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفوا فى المساجد على وجوه (أحدها) وهو قول الأكثرين أنها المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ، وذلك أن أهل الكتاب يشركون فى صلاتهم فى البيع والكنائس ، فأمر الله المسلمين بالإخلاص والتوحيد (وثانيها) قال الحسن أراد بالمساجد البقاع كلها قال عليه الصلاة والسلام « جعلت لى الأرض مسجداً » كأنه تعالى قال : الأرض كلها مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغير خالقها (وثالثها) روى عن الحسن أيضاً أنه قال المساجد هى الصلوات . فالمساجد على هذا القول جمع مسجد بفتح

وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾

الجيم والمسجد على هـذا القول مصدر بمعنى السجود (ورابعها) قال سعيد بن جبير : المساجد الأعضاء التى يسجد العبد عليها وهى سبعة القدمان والركبتان واليدان والوجه ، وهذا القول اختيار ابن الأنبارى ، قال لأن هذه الأعضاء هى التى يقع السجود عليها وهى مخلوقة لله تعالى ، فلا ينبغى أن يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى ، وعلى هـذا القول معنى المساجد مواضع السجود من الجسد واحدها مسجد بفتح الجيم (وخامسها) قال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد بالمساجد مكة بجميع ما فيها من المساجد ، وذلك لأن مكة قبلة الدنيا وكل أحد يسجد إليها ، قال الواحدى وواحد المساجد على الأقوال كلها مسجد بفتح الجيم إلا على قول من يقول إنها المواضع التى بنيت للصلاة فان واحدها بكسر الجيم لأن المواضع والمصادر كلها من هـذا الباب بفتح العين إلا فى أحرف معدودة وهى : المسجد والمطلع والمنسك والمسكن والمنبت والمفرق والمسقط والمجزر والمحشر والمشرق والمغرب ، وقد جاء فى بعضها الفتح وهو المنسك والمسكن والمفرق والمطلع ، وهو جائز فى كلها وإن لم يسمع .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال الحسن : من السنة إذا دخل الرجل المسجد أن يقول لا إله إلا الله ، لأن قوله (لا تدعوا مع الله أحداً) فى ضمنه أمر بذكر الله وبدعائه .

﴿ النوع الرابع ﴾ من جملة الموحى قوله تعالى ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾ .

اعلم أن عبدالله هو النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الجميع ، ثم قال الواحدى إن هذا من كلام الجن لا من جملة الموحى ، لأن الرسول لا يليق أن يحكى عن نفسه بلفظ المغايبة وهذا غير بعيد ، كما فى قوله (يوم يحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) والأكثرون على أنه من جملة الموحى ، إذ لو كان من كلام الجن لكان ماليس من كلام الجن . وفى خلل ما هو كلام الجن مختلا بعيداً عن سلامة النظم وفائدة هذا الاختلاف أن من جعله من جملة الموحى فتح الهمزة فى أن ، ومن جعله من كلام الجن كسرها ، ونحن نفسر الآية على القولين ، أما على قول من قال إنه من جملة الموحى فالضمير فى قوله كادوا إلى من يعود ؟ فيه ثلاثة أوجه (أحدها) إلى الجن ، ومعنى قام يدعوه أى قام يعبد يريد قيامه لصلاة الفجر حين أتاه الجن ، فاستمعوا القراءة كادوا يكونون عليه لبداً ، أى يزدحمون عليه متراكبين تعجباً مما رأوا من عبادته ، واقتداء أصحابه به قائماً وراكعاً ، وساجداً . وإعجاباً بما تلا من القرآن ، لأنهم رأوا مالم يروا مثله ، وسمعوا ما لم يسمعوا مثله (والثانى) لما قدم رسول الله يعبد الله وحده مخالفاً للمشركين فى عبادتهم الأوثان ، كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته ، يزدحمون عليه (والثالث) وهو قول قتادة ، لما قام عبد الله . تلبدت

قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾

الإنس والجن ، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطفئوا نور الله ، فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من عاداه ، وأما على قول من قال إنه من كلام الجن ، فالوجهان أيضاً عائدان فيه ، وقوله (لبداً) فهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض وارتكم بعضه على بعض ، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقدلبدته ، ومنه اشتقاق هذه اللبود التي تفرش . ويقال لبدة الأسد لما يتلبد من الشعر بين كتفيه ، ومنه قول زهير :

[لدى أسد شاكي السلاح مقذف] له لبد أظفاره لم تقلم

وقرىء (لبداً) بضم اللام واللبدة في معنى اللبدة ، وقرىء لبداً جمع لابد كسجد في ساجد . وقرىء أيضاً (لبداً) بضم اللام والباء جمع لبود كصبر جمع صبور ، فإن قيل لم سمي محمداً بعبدالله ، وماذكره برسول الله أو نبي الله ؟ قلنا لأنه إن كان هذا الكلام من جملة الموحى ، فاللائق بتواضع الرسول أن يذكر نفسه بالعبودية ، وإن كان من كلام الجن كان المعنى أن عبد الله لما اشتغل بعبودية الله ، فهؤلاء الكفار لم اجتمعوا ولم حاولوا منعه منه ، مع أن ذلك هو الموافق لقانون العقل ؟

قوله تعالى : ﴿ قال إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ﴾ قرأ العامة قال على الغيبة وقرأ عاصم وحمزة ، قل حتى يكون نظيراً لما بعده ، وهو قوله (قل إني لا أملك ... قل إني لن يجيرني) قال مقاتل : إن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم « إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم ، فارجع عن هذا » فأنزل الله (قل إنما أدعوا ربي) وهذا حجة لعاصم وحمزة ، ومن قرأ قال حمل ذلك على أن القوم لما قالوا ذلك ، أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « إنما أدعو ربي » فحكى الله ذلك عنه بقوله قال : أو يكون ذلك من بقية حكاية الجن أحوال الرسول لقومهم .

قوله تعالى : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴾ إما أن يفسر الرشد بالنفع حتى يكون تقدير الكلام ، لا أملك لكم غياً ولا رشداً ، ويدل عليه قراءة أبي غياً ولا رشداً ؛ ومعنى الكلام أن النافع والضار ، والمرشد والمغوي هو الله ، وإن أحداً من الخلق لا قدرة له عليه .

قوله تعالى : ﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ﴾ قال مقاتل : إنهم قالوا : اترك ما تدعوا إليه ، ونحن نجيرك ، فقال الله له : (قل إني لن يجيرني من الله أحد) .

ثم قال تعالى ﴿ ولن أجد من دونه ملتحداً ﴾ أي ملجأ وحرزا ، قال المبرد : ملتحداً مثل قولك ، منعرجاً ، والتحد ، معناه في اللغة مال ، فالملتحد المدخل من الأرض مثل السرب الذاهب في الأرض .

إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ﴿ إلا بلاغاً من الله ورسالاته ﴾ ذكروا فى هذا الاستثناء وجوهاً (أحدها) أنه استثناء من قوله (لا أملك) أى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا إلا بلاغاً من الله ، وقوله : (قل إنى لن يجيرنى) جملة معترضة ، وقعت فى البين لتأكيد نفى الاستطاعة عنه ، وبيان عجزه على معنى : أنه تعالى إن أراد به سوء لم يقدر أحد أن يجيره منه ، وهذا قول الفراء (وثانيها) وهو قول الزجاج : أنه نصب على البدل من قوله (ملتحدا) والمعنى : ولن أجد من دونه ، ملجأ إلا بلاغاً ، أى لا ينجينى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به ، وأقول هذا الاستثناء منقطع ، لأنه تعالى لما لم يقل ، ولن أجد ملتحدا ، بل قال : ولن أجد من دونه ملتحدا ، والبلاغ من الله لا يكون داخلا تحت قوله (من دونه ملتحدا) لأن البلاغ من الله لا يكون من دون الله ، بل يكون من الله وبإعانته وتوفيقه (ثالثها) قال بعضهم : إلا معناه إن ، ومعناه : إن لا أبلغ بلاغاً كقولك : إلا قياماً فقعودا ، والمعنى : إن لا أبلغ ، لم أجد ملتحدا ، فإن قيل المشهور ، إنه يقال بلغ عنه ، قال عليه السلام «بلغوا عنى ، بلغوا عنى» فلم قال ههنا (بلاغاً من الله) ؟ قلنا من ليست بصفة للتبلغ إنما هى بمنزلة من فى قوله (براءة من الله) بمعنى بلاغاً كائنا من الله . أما قوله تعالى (ورسالاته) فهو عطف على بلاغاً كأنه قال : لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات ، والمعنى إلا أن أبلغ عن الله ، فأقول قال الله كذا ناسباً القول إليه وأن أبلغ رسالاته التى أرسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان .

قوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم ﴾ قال الواحدى إن مكسورة الهمزة لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه قوله (ومن عاد فينتقم الله منه ، ومن كفر فأمتعه ، ومن يؤمن بربه فلا يخاف) على أن المبتدأ فيها مضمر وقال صاحب الكشاف وقرىء (فأن له نار جهنم) على تقدير فجزاؤه أن له نار جهنم ، كقولك (فأن لله خمسه) أى فحكمه أن لله خمسه .

قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها أبداً ﴾ حملا على معنى الجمع فى من وفى الآية مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ استدل جمهور المعتزلة بهذه الآية على أن فساق أهل الصلاة مخلدون فى النار وأن هذا العموم يشملهم كشموله الكفار ، قالوا وهذا الوعيد مشروط بشرط أن لا يكون هناك توبة ولا طاعة أعظم منها ، قالوا وهذا العموم أقوى فى الدلالة على هذا المطلوب من سائر العمومات لأن سائر العمومات ماجاء فيها قوله (أبداً) فالمخالف يحمل الخلود على المكث الطويل ، أما ههنا [فقد] جاء لفظ الأبد فيكون ذلك صريحاً فى إسقاط الاحتمال الذى ذكره المخالف (والجواب) أنا بينا فى سورة البقرة وجوه الأجوبة على التمسك بهذه العمومات ، ونزيد ههنا وجوها (أحدها) أن تخصيص

العموم بالواقعة التى لأجلها ورد ذلك العموم عرف مشهور ، فإن المرأة إذا أرادت أن تخرج من الدار ساعة ، فقال الزوج إن خرجت فأنت طالق يفيد ذلك اليمين بتلك الساعة المعينة حتى أنها لو خرجت فى يوم آخر لم تطلق ، فهنا أجرى الحديث فى التبليغ عن الله تعالى ، ثم قال (ومن يعص الله ورسوله) يعنى جبريل (فإن له نار جهنم) أى من يعص الله فى تبليغ رسالاته وأداء وحيه فان له نار جهنم ، وإذا كان ما ذكرنا محتملا سقط وجه الاستدلال (الوجه الثانى) وهو أن هذا الوعيد لا بد وأن يتناول هذه الصورة لأن من القبيح أن يذكر عقيب هذه الواقعة حكما لاتعلق له بها ، فيكون هذا الوعيد وعيداً على ترك التبليغ من الله ، ولا شك أن ترك التبليغ من الله أعظم الذنوب ، والعقوبة المترتبة على أعظم الذنوب ، لا يجوز أن تكون مرتبة على جميع الذنوب ، لأن الذنوب المتفاوتة فى الصغر والكبر لايجوز أن تكون متساوية فى العقوبة ، وإذا ثبت أن هذه العقوبة على هذا الذنب ، وثبت أن ماكان عقوبة على هذا الذنب لايجوز أن يكون عقوبة على سائر الذنوب ، علمنا أن هذا الحكم مختص بهذا الذنب وغير متعد إلى سائر الذنوب (الوجه الثالث) وهو أنه تعالى ذكر عمومات الوعيد فى سائر آيات القرآن غير مقيدة بقيد الأبد ، وذكرها ههنا مقيدة بقيد الأبد ، فلابد فى هذا التخصيص من سبب ، ولا سبب إلا أن هذا الذنب أعظم الذنوب ، وإذاكان السبب فى هذا التخصيص ، هذا المعنى ، علمنا أن هذا الوعيد مختص بهذا الذنب وغير متعد إلى جميع الذنوب ، وإذا ثبت أن هذا الوعيد مختص بفاعل هذا الذنب ، صارت الآية دالة على أن حال سائر المذنبين بخلاف ذلك ، لأن قوله (فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) معناه ، أن هذه الحالة له لا لغيره ، وهذا كقوله (لكم دينكم) أى لكم لالغيركم . وإذا ثبت أن لهم هذه الحالة لا لغيرهم ، وجب فى سائر المذنبين أن لا يكون لهم نارجهنم على سبيل التأبيد ، فظهر أن هذه الآية حجة لنا عليهم . وعلى تمسكهم بالآية سؤال آخر ، وهو أن قوله (ومن يعص الله ورسوله) إنما يتناول من عصى الله ورسوله بجميع أنواع المعاصى ، وذلك هو الكافر ونحن نقول بأن الكافر يبقى فى النار مؤبداً ، وإنما قلنا إن قوله (ومن يعص الله ورسوله) إنما يتناول من عصى الله بجميع أنواع المعاصى لأن قوله (ومن يعص الله) يصح استثناء جميع أنواع المعاصى عنه ، مثل أن يقال ، ومن يعص الله إلا فى الكفر وإلا فى الزنا ، وإلا فى شرب الخمر ، ومن مذهب القائلين بالوعيد ، أن حكم الاستثناء إخراج ما لولاه لكان داخلا تحت اللفظ وإذا كان كذلك ، وجب أن يكون قوله (ومن يعص الله) متناولا لمن أتى بكل المعاصى ، والذى يكون كذلك هو الكافر ، فالآية مختصة بالكافر على هذا التقدير ، فسقط وجه الاستدلال بها .

فإن قيل كون الانسان الواحد آتياً لجميع أنواع المعاصى محال ، لأن من المحال أن يكون قائلا بالتجسيم وأن يكون مع ذلك قائلا بالتعطيل ، وإذاكان ذلك محالا لحمل الآية عليه غير جائز قلنا تخصيص العام بدليل العقل جائز ، فقولنا (ومن يعص الله) يفيد كونه آتياً بجميع أنواع

حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾

المعاصي ، ترك العمل به فى القدر الذى امتنع عقلا حصوله . فيبقى متناولا للآتى بجميع الأشياء التى يمكن الجمع بينها ، ومن المعلوم أن الجمع بين الكفر وغيره ممكن فتكون الآية مختصة به .

﴿ المسألة الثانية ﴾ تمسك القائلون بأن الأمر للوجوب بهذه الآية ، فقالوا تارك المأمور به عاص لقوله تعالى (أفعصيت أمرى ، لا يعصون الله ما أمرهم ، لا أعصى لك أمراً) والعاصى مستحق للعقاب لقوله (ومن يعص الله ورسوله فإن نار جهنم خالدين فيها أبداً)

قوله تعالى : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً ﴾ فإن قيل ما الشيء الذى جعل ما بعد حتى غاية له ؟ قلنا فيه وجهان (الأول) أنه متعلق بقوله (يكونون عليه لبداً) والتقدير أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عدده (حتى إذا رأوا ما يوعدون) من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة ، فسيعلمون أيهم أضعف ناصراً وأقل عددا ، (الثانى) أنه متعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده . كأنه قيل هؤلاء لا يزالون على ما هم عليه ، حتى إذا كان كذا كان كذا ، واعلم أن نظير هذه الآية قوله فى مريم (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة) واعلم أن الكافر لا ناصر له ولا شفيع يوم القيامة ، على ما قال (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ويفر كل أحد منهم من صاحبه ، على ما قال (يوم يفر المرء من أخيه) إلى آخره (ويوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) وأما المؤمنون فلهم العزة والكرامة والكثرة ، قال تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) والملك القدوس يسلم عليهم (سلام قولا من رب رحيم) فهناك يظهر أن القوة والعدد فى جانب المؤمنين أو فى جانب الكفار .

قوله تعالى : ﴿ قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمداً ﴾ قال مقاتل لما سمعوا قوله (حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً) قال النضر بن الحرث متى يكون هذا الذى توعدنا به ؟ فأنزل الله تعالى (قل إن أدرى أقريب ما توعدون) إلى آخره والمعنى أن وقوعه متيقن ، أما وقت وقوعه فغير معلوم ، وقوله (أم يجعل له ربى أمداً) أى غاية وبعداً وهذا كقوله (وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون) فإن قيل أليس أنه قال « بعثت أنا والساعة كهاتين » فكان عالما بقرب وقوع القيامة ، فكيف قال ههنا لا أدرى أقريب أم بعيد ؟ قلنا المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقى من الدنيا أقل مما انقضى ، فهذا القدر من القرب معلوم ،

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ

وأما معنى معرفة القرب القريب وعدم ذلك فغير معلوم .

ثم قال تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول ﴾ لفظة من فى قوله من رسول تبيين لمن ارتضى يعنى أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذى يكون رسولا ، قال صاحب الكشاف ، وفى هذا إبطال الكرامات لأن الذين تضاف الكرامات إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل ، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب ، وفيها أيضاً إبطال الكهانة والسحر والتنجيم لأن أصحابها أبعد شىء من الإرتضاء وأدخله فى السخط ، قال الواحدى ، وفى هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك ، فقد كفر بما فى القرآن .

واعلم أن الواحدى يجوز الكرامات وأن يلهم الله أولياءه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل . ونسبة الآية إلى الصورتين واحدة فإن جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغى أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات على ما قاله صاحب الكشاف ، وإن زعم أنها لا تدل على المنع من الإلهامات الحاصلة للأولياء فينبغى أن لا يجعلها دالة على المنع من الدلائل النجومية ، فأما التحكم بدلالتها على المنع من الأحكام النجومية وعدم دلالتها على الإلهامات الحاصلة للأولياء فمجرد التشهى ، وعندى أن الآية لا دلالة فيها على شىء مما قالوه والذى تدل عليه أن قوله (على غيبه) ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه أن لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى فى الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئاً من الغيوب لأحد ، والذى يؤكد هذا التأويل أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية عقيب قوله (إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمداً) يعنى لا أدرى وقت وقوع القيامة ، ثم قال بعده (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) أى وقت وقوع القيامة من الغيب الذى لا يظهره الله لأحد ، وبالجملة فقوله (على غيبه) لفظ مفرد مضاف ، فيكفى فى العمل به حمله على غيب واحد ، فأما العموم فليس فى اللفظ دلالة عليه ، فإن قيل فإذا حملتم ذلك على القيامة ، فكيف قال (إلا من ارتضى من رسول) مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله ؟ قلنا بل يظهره عند القرب من إقامة القيامة ، وكيف لا وقد قال (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) ولا شك أن الملائكة يعلمون فى ذلك الوقت قيام القيامة ، وأيضاً يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعاً ، كأنه قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص وهو قيام القيامة أحداً ، ثم قال بعده لكن من ارتضى من رسول (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه) حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن ، لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام جواباً لسؤال من سأله عن وقت وقوع

فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ

القيامة على سبيل الاستهزاء به ، والاستحقار لدينه ومقالته .

واعلم أنه لابد من القطع بأنه ليس مراد الله من هذه الآية أن لا يطلع أحداً على شيء من المغيبات إلا الرسل ، والذى يدل عليه وجوه (أحدها) أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقاً وسطيحاً كانا كاهنين يخبران بظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل زمان ظهوره ، وكانا فى العرب مشهورين بهذا النوع من العلم ، حتى رجع إليهما كسرى فى تعرف أخبار رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فثبت أن الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شيء من الغيب (وثانيها) أن جميع أرباب الملل والأديان مطبقون على صحة علم التعبير ، وأن المعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية فى المستقبل ، ويكون صادقاً فيه (وثالثها) أن الكاهنة البغدادية التى نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بغداد إلى خراسان ، وسألها عن الأحوال الآتية فى المستقبل فذكرت أشياء ، ثم إنها وقعت على وفق كلامها .

(قال مصنف الكتاب) ختم الله له بالحسنى : وأنا قد رأيت أناساً محققين فى علوم الكلام والحكمة ، حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة أخباراً على سبيل التفصيل ، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها ، وبالغ أبو البركات فى كتاب المعتبر فى شرح حالها ، وقال لقد تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقاً .

(ورابعها) أنا نشاهد [ذلك] فى أصحاب الإلهامات الصادقة ، وليس هذا مختصاً بالأولياء بل قد يوجد فى السحرة أيضاً من يكون كذلك نرى الإنسان الذى يكون سهم الغيب على درجة طالعه يكون كذلك فى كثير من أخباره وإن كان قد يكذب أيضاً فى أكثر تلك الأخبار ، ونرى الأحكام النجومية قد تكون مطابقة وموافقة للأمور ، وإن كانوا قد يكذبون فى كثير منها ، وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً ، فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر الطعن إلى القرآن ، وذلك باطل فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه ، والله أعلم .

أما قوله تعالى ﴿ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾ فالمعنى أنه يسلك من بين يدى من ارتضى للرسالة ، ومن خلفه رصداً ، أى حفظة من الملائكة يحفظونه من وساوس شياطين الجن وتخاليطهم ، حتى يبلغ ما أوحى به إليه ، ومن زحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونه ولا يضرونه وعن الضحاك ما بعث نبى إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين الذين يتشبهون بصورة الملك .

قوله تعالى : ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾ فيه مسائل :

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ وحد الرسول فى قوله (إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه) ثم جمع فى قوله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) ونظيره ما تقدم من قوله (فإن له نار جهنم خالدين) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ احتج من قال بحدوث علم الله تعالى بهذه الآية ، لأن معنى الآية ليعلم الله أن قد أبلغوا الرسالة ، ونظيره قوله تعالى (حتى نعلم المجاهدين) (والجواب) من وجهين : (الأول) قال قتادة ومقاتل ليعلم محمد أن الرسل قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة ، وعلى هذا اللام فى قوله (ليعلم) متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام ، كأنه قيل أخبرناه بحفظ الوحى ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ الحق ، ويجوز أن يكون المعنى ليعلم الرسول أن قد أبلغوا أى جبريل والملائكة الذين يبعثون إلى الرسل رسالات ربهم ، فلا يشك فيها ويعلم أنها حق من الله (الثانى) وهو اختيار أكثر المحققين أن المعنى ، ليعلم الله أن قد أبلغ الأنبياء رسالات ربهم ، والعلم ههنا مثله فى قوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم ، فيعلم ذلك منهم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قرىء ليعلم على البناء المفعول .

قوله تعالى : ﴿ وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عدداً ﴾ .

أما قوله (وأحاط بما لديهم) فهو يدل على كونه تعالى عالماً بالجزئيات ، وأما قوله (وأحصى كل شىء عدداً) فهو يدل على كونه عالماً بجميع الموجودات ، فإن قيل إحصاء العدد إنما يكون فى المتناهى ، وقوله (كل شىء) يدل على كونه غير متناه ، فلزم وقوع التناقض فى الآية ، قلنا لا شك أن إحصاء العدد إنما يكون فى المتناهى ، فأما لفظة (كل شىء) فإنها لا تدل على كونه غير متناه ، لأن الشىء عندنا هو الموجودات ، والموجودات متناهية فى العدد ، وهذه الآية أحد ما يحتج به على أن المعدوم ليس بشىء ، وذلك لأن المعدوم لو كان شيئاً ، لكانت الأشياء غير متناهية ، وقوله (أحصى كل شىء عدداً) يقتضى كون تلك المحصيات متناهية ، فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية ، وذلك محال ، فوجب القطع بأن المعدوم ليس بشىء حتى يندفع هذا التناقض .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد النبى وآله وصحبه أجمعين .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجن

مكِّيَّةٌ في قول الجميع[1]. وهي ثمانٍ وعشرون آية

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: قل يا محمد لأمتك: أَوْحَى اللهُ إليَّ على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ إليّ ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وما كان عليه الصلاة والسلام عالماً به قبل أنْ أُوحي إليه. هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي.

وقرأ ابن أبي عَبْلة: «وُحِيَ» على الأصل، يقال: أَوحى إليه ووَحى، [وقُرئ: أُحِيَ] فقُلبت الواوُ همزة، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]. وهو من القلب المطلق جوازُه في كل واوٍ مضمومة. وقد أطلقه المازنيُّ في المكسورة أيضاً، كإشاح وإسادة و«إِعَاءِ أَخِيهِ» [يوسف: ٧٦] ونحوه[2].

الثانية: واختُلِف هل رآهم النبيُّ ﷺ أم لا؟ فظاهر القرآن يدلُّ على أنه لم يرهم، لقوله تعالى: «اسْتَمَعَ»، وقولهِ تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٧٨، وزاد المسير ٨/٣٧٦.

(٢) الكشاف ٤/١٦٦ بتقديم وتأخير، وما بين حاصرتين لضرورة السياق، ومستفاد منه، وذكرَ قراءة: وُحي، عن ابن أبي عبلة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٢. وقرأ ابن أبي عبلة أيضاً: أُحيَ: كما في المحرر الوجيز ٥/٣٧٨، والبحر المحيط ٨/٣٤٦، والقراءتان شاذتان. وقراءة: «إعاء أخيه» شاذة أيضاً، وهي في المحتسب ١/٣٤٨، والقراءات الشاذة ص٦٥.

[الأحقاف: ٢٩]. وفي صحيح مسلم والتِّرمذيِّ عن ابن عباس قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سُوق عُكَاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: مالكم؟ قالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشُّهُب! قالوا: ما ذاك إلَّا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ماهذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء؟ فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربَها، فمرَّ النَّفرُ الذين أخذوا نحو تِهامة وهو بنخلة عامدين إلى سوق عُكَاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمعوا القرآن، استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ياقومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا. يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ فأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[1]. رواه الترمذي[2] عن ابن عباس قال: قولُ الجنِّ لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الآية: ١٩] قال: لمَّا رأوه يصلِّي، وأصحابُه يصلُّون بصلاته، فيسجدون بسجوده، قال: تعجَّبوا من طواعية أصحابه له، قالوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: هذا حديث حسن صحيح.

ففي هذا الحديثِ دليلٌ على أنه عليه الصلاة والسلام لم يرَ الجنَّ، ولكنهم حضروه، وسمعوا قراءته. وفيه دليلٌ على أنَّ الجنَّ كانوا مع الشياطين حين تجسَّسوا الخبر بسبب الشياطين لمَّا رُمُوا بالشُّهُب. وكان المرميُّون بالشُّهُب من الجنِّ أيضاً. وقيل لهم: شياطين كما قال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فإنَّ الشيطان كلُّ متمرِّدٍ وخارجٍ عن طاعة الله.

---

(١) صحيح مسلم (٤٤٩)، وسنن الترمذي (٣٣٢٣)، وأخرجه أحمد (٢٢٧١). وهو عند البخاري (٧٧٣) و(٤٩٢١) دون قوله: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم.

(٢) هو بعض حديثه السالف.

وفي الترمذي[١] عن ابن عباس قال: كان الجنُّ يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوَحْي، فإذا سمعوا الكلمةَ زادوا فيها تسعاً، فأمَّا الكلمةُ فتكون حقًّا، وأما ما زادوا فيكون باطلاً. فلما بُعث رسولُ الله ﷺ، مُنِعوا مقاعدَهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا الأمرُ إلَّا مِن أمرٍ قد حدث في الأرض! فبعث جنوده، فوجدوا رسولَ الله ﷺ قائماً يصلِّي بين جبلين ـ أُراه قال: بمكة ـ فأتَوه فأخبروه، فقال: هذا الحَدث الذي حدث في الأرض. قال: هذا حديث حسن صحيح.

فدلَّ هذا الحديثُ على أنَّ الجنَّ رُموا كما رُميت الشياطين.

وفي رواية السُّدِّيّ: أنهم لمَّا رُموا أتَوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم، فقال: إيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أَشَمُّها، فأتَوه، فشمَّ فقال: صاحبكم بمكة؛ فبعث نفراً من الجنِّ[٢]. قيل: كانوا سبعة. وقيل: تسعة، منهم زَوْبعة.

وروى عاصمٌ عن زِرٍّ قال: قَدِمَ رهط زوبعة وأصحابُه على النبيِّ ﷺ. وقال الثُّمالي: بلغني أنهم من بني الشَّيْصَبَان، وهم أكثر الجنِّ عدداً، وأقواهم شوكة، وهم عامَّةُ جنودِ إبليس. وروى أيضاً عاصمٌ عن زِرٍّ: أنهم كانوا سبعةَ نفر؛ ثلاثة من أهل حَرَّان، وأربعة من أهل نَصِيبين. وحكى جُويبر عن الضحَّاك: أنهم كانوا تسعة من أهل نَصِيبين، قرية باليمن غير التي بالعراق. وقيل: إنَّ الجنَّ الذين أتَوا مكة جنُّ نصيبين، والذين أتوه بنخلة جنُّ نِيْنَوَى. وقد مضى بيانُ هذا في سورة الأحقاف[٣].

قال عِكرمة: والسورة التي كان يقرؤها رسولُ الله ﷺ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١][٤]. وقد مضى في سورة الأحقاف التعريفُ باسم النفرِ من الجنّ، فلا معنى لإعادة ذلك.

---

(١) برقم (٣٣٢٤)، وهو في مسند أحمد (٢٤٨٢) بنحوه.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٠٨ .

(٣) ١٩/ ٢٢٤ . وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣١١ ، والنكت والعيون ٦/ ١٠٨-١٠٩ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٠٨ .

وقيل: إنَّ النبيَّ ﷺ رأى الجنَّ ليلةَ الجنّ، وهو أثبت؛ روى عامر الشَّعبيُّ قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ فقال علقمة: أنا سألت ابنَ مسعود فقلت: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنّ؟ قال: لا، ولكنَّا كنَّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: استُطير أو اغتيل، قال: فبتنا بِشرِّ ليلةٍ بات بها قوم، فلما أصبحنا[1] إذا هو جاءٍ من قِبَل حِرَاء، فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجنّ، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن». فانطلَقَ بنا فأرانا آثارَهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد ـ وكانوا من جنِّ الجزيرة ـ فقال: «لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكر اسمُ الله عليه، يقع في أيديكم أوْفَرَ ما يكون لحماً، وكلُّ بَعْرة عَلفٌ لدوابِّكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجُوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»[2].

قال ابن العربي[3]: وابن مسعود أعرف من ابن عباس؛ لأنه شاهده، وابن عباس سمعه؛ وليس الخبر كالمعاينة.

وقد قيل: إنَّ الجنَّ أتَوا رسول الله ﷺ دفعتين: إحداهما بمكة، وهي التي ذكرها ابن مسعود، والثانية بنخلة، وهي التي ذكرها ابن عباس. قال البيهقي: الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أوَّل ما سمعت الجنُّ قراءةَ النبيِّ ﷺ وعَلِمت بحاله، وفي ذلك الوقتِ لم يقرأ عليهم ولم يرهم، كما حكاه، ثم أتاه داعي الجنِّ مرَّةً أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود. قال البيهقي: والأحاديث الصِّحاح تدلُّ على أنَّ ابن مسعود لم يكن مع النبي ﷺ ليلةَ الجنّ، وإنما كان معه حين انطلق به وبغيره يريه آثارَ الجنِّ وآثارَ نيرانهم. قال: وقد رُوي من غير

---

(١) في النسخ: أصبح، والمثبت من صحيح مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (٤١٤٩)، ومسلم (٤٥٠) واللفظ له. وسلف قطعة منه ١/ ٤٦٩ . قوله: استطير، أي: ذُهب به بسرعة كأن الطير حملته، أو اغتاله أحد. النهاية (طير) .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٢ .

وجه أنه كان معه ليلتئذ[١]. وقد مضى هذا المعنى في سورة الأحقاف، والحمد لله[٢].

روي عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُمرت أنْ أتلوَ القرآن على الجنِّ، فمن يذهب معي؟» فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحَجُون عند شِعْب أبي دُبّ، فخطَّ عليَّ خطّاً، فقال: «لا تجاوزه» ثم مضى إلى الحَجُون فانحدر عليه أمثالُ الحَجَل يَحدُرون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دُفوفهم كما تَقْرع النُّسور[٣] في دُفوفها، حتى غَشَوه فلا أراه، فقمت، فأوْمَى إليَّ بيده أن اجلس، فتلا القرآن، فلم يزل صوته يرتفع، ولَصِقوا بالأرض حتى ما أراهم، فلما انفتل إليّ قال: «أردتَ أن تأتيَني؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما كان ذلك لك، هؤلاء الجنُّ أتَوا يستمعون القرآن، ثم ولَّوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزاد فزوَّدتهم العظم والبعر؛ فلا يَستطيبَنَّ أحدُكم بعظم ولا بعر».

قال عكرمة: وكانوا اثني عشرَ ألفاً من جزيرة الموصل.

وفي رواية[٤]: انطلق بي عليه الصلاة والسلام، حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف؛ خَطَّ لي خطًّا، فأتاه نفر منهم، فقال أصحابنا: كأنهم رجال الزُّط، وكأنَّ وجوههم المَكَاكيّ[٥]، فقالوا: ما أنت؟ قال: «أنا نبيُّ الله» قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: «هذه الشجرة، تعالي[٦] يا شجرة» فجاءت تجرُّ عروقها، لها قعاقع، حتى انتصبت بين يديه، فقال: «على ماذا تشهدين» قالت: أشهد أنك رسول الله.

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٢٧، ٢٣٠.

(٢) ١٩/ ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٣) في النسخ: النسوة، والمثبت من المصادر. وسلف الخبر ١٩/ ٢٢٢ بنحوه.

(٤) أخرج هذه الرواية والتي قبلها الفاكهي في أخبار مكة (٢٣١٩). وقول عكرمة أخرجه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٦ (١٨٥٧٨).

(٥) جمع مكُّوك: وهو مكيال.

(٦) في (م): فقال.

فرجعت كما جاءت تجرُّ بعروقها الحجارة لها قعاقع، حتى عادت كما كانت.

ثم روي أنه عليه الصلاة والسلام لمَّا فرغ، وضع رأسه على حِجْر ابن مسعود، فرقد، ثم استيقظ فقال: «هل مِن وضوء؟» قال: لا، إلَّا أنَّ معي إداوةٌ فيها نبيذ. فقال: «هل هو إلَّا تمر وماء» فتوضأ منه[١].

الثالثة: قد مضى الكلام في الماء في سورة الحِجْر[٢]، وما يستنجى به في سورة براءة[٣]، فلا معنى للإعادة.

الرابعة: واختلف أهل العلم في أصل الجنّ؛ فروى إسماعيل عن الحسن البصريّ: أنَّ الجنَّ ولدُ إبليس، والإنسَ ولد آدم، ومِن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب. فمَن كان مِن هؤلاء وهؤلاء مؤمناً، فهو وليُّ الله، ومَن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً، فهو شيطان. وروى الضحَّاك عن ابن عباس: أنَّ الجنَّ هم ولد الجانّ، وليسوا بشياطين، وهم يموتون[٤]؛ ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس.

واختلفوا في دخول مؤمني الجنِّ الجنة، على حسب الاختلاف في أصلهم. فمَن زعم أنهم من الجانِّ لا من ذرِّيَّة إبليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم. ومَن قال: إنهم من ذرِّيَّة إبليس، فلهم فيه قولان: أحدهما، وهو قول الحسن: يدخلونها. الثاني، وهو رواية مجاهد: لا يدخلونها وإن صُرِفوا عن النار. حكاه الماوردي[٥]. وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآية:٥٦]. بيان أنهم يدخلونها[٦].

(١) سلف ١٦/ ٢١٢-٢١٣، وسلفت هذه القطعة ـ أيضاً ـ ١٥/ ٤٤١.

(٢) ١٢/ ١٩٩.

(٣) ١٠/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) في النسخ عدا (ظ): يؤمنون، والمثبت موافق لما في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٠٩.

(٦) ٢٠/ ١٥٥.

الخامسة: قال البيهقيُّ[١] في روايته: وسألوه الزاد، وكانوا من جنِّ الجزيرة، فقال: «لكم كلُّ عظم» دليلٌ على أنهم يأكلون ويَطعَمون. وقد أنكر جماعةٌ من كَفَرة الأطباءِ والفلاسفةِ الجنَّ، وقالوا: إنهم بسائط، ولا يصحُّ طعامهم؛ اجتراءً على الله وافتراءً عليه، والقرآن والسنة تردُّ عليهم، وليس في المخلوقات بسيط، [بل الكلُّ] مركَّبٌ مزدوج، إنما الواحد الواحد سبحانه، وغيره مركَّبٌ ليس بواحد كيفما تصرَّف حاله. وليس يمتنع أن يراهم النبيُّ ﷺ في صورهم كما يرى الملائكة. وأكثر ما يَتَصوَّرون لنا في صور الحيات؛ ففي الموطأ[٢]: أن رجلاً حديثَ عهدٍ بعُرس استأذن رسولَ الله ﷺ بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله... الحديث، وفيه: فإذا حيَّةٌ عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها. وذكر الحديث. وفي الصحيح[٣] أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنَّ لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم منها شيئاً، فحرِّجوا عليها ثلاثاً، فإنْ ذهب وإلَّا فاقتلوه؛ فإنه كافر». وقال: «اذهبوا فادفنوا صاحبكم»[٤] وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة وبيانُ التحريج عليهن[٥].

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ ذلك مخصوصٌ بالمدينة؛ لقوله في الصحيح[٦]: «إنَّ بالمدينة جنًّا قد أسلموا». وهذا لفظ مختصٌّ بها، فيختصُّ بحكمها. قلنا: هذا يدلُّ على أنَّ غيرها من البيوت مثلُها؛ لأنه لم يُعلَّل بحرمة المدينة، فيكون ذلك الحكمُ مخصوصاً بها، وإنما عُلِّل بالإسلام، وذلك عامٌّ في غيرها، ألا ترى قولَه في الحديث مخبِراً عن الجنِّ الذين لقي: «وكانوا من جنِّ الجزيرة»؛ وهذا بيِّنٌ، يَعضُده قولُه:

---

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢: قال الشعبي. وهو عند البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٢٩ من طريق الشعبي، وسلف في المسألة الثانية.

(٢) ٢/ ٩٧٦، وسلف الحديث ١/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣٦): (١٤٠)، وسلف ١/ ٤٧٠.

(٤) أي الرجل الحديث العهد بعرس الذي قتلته الحية، وهو من حديث الموطأ المذكور.

(٥) ١/ ٤٦٨ فما بعد.

(٦) هو بعض الحديث السالف.

«وَنَهَى عن عوامر البيوت»[١]، وهذا عامٌّ[٢]. وقد مضى في سورة البقرة القولُ في هذا، فلا معنى للإعادة.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾ أي: في فصاحة كلامه. وقيل: عَجَباً في بلاغة مواعظه. وقيل: عجباً في عِظَم بركته[٣]. وقيل: قرآناً عزيزاً لا يوجد مثله[٤]. وقيل: يعنون عظيماً. ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: إلى مراشد الأمور. وقيل: إلى معرفة الله تعالى[٥]؛ و«يَهْدي» في موضع الصفة، أي: هادياً. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: فاهتدينا به وصدَّقنا أنه من عند الله ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي: لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه؛ لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر لما[٦] رُمِيَ الجنُّ بالشُّهب. وقيل: لا نتَّخذ مع الله إلهاً آخر، لأنه المتفرِّد بالرُّبُوبية. وفي هذا تعجيبُ المؤمنين بذهاب مشركي قريش عمَّا أدركته الجنُّ بتدبُّرها القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي: استمعوا إلى النبيِّ ﷺ، فعلموا أنَّ ما يقرؤه كلامُ الله. ولم يذكر المستمَع إليه لدلالة الحال عليه. والنَّفَر: الرهط، قال الخليل: ما بين ثلاثة إلى عشرة. وقرأ عيسى الثَّقفي: «يَهْدي إلى الرَّشَد» بفتح الراء والشين[٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ كان عَلْقمة ويحيى والأعمش وحمزة والكِسائيُّ وابن عامر وخَلَفٌ وحفص والسُّلَميُّ ينصبون «أنَّ» في جميع السورة في اثني عشر

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٦٢) من حديث أبي أمامة ﷺ. وفي الباب عن أبي لبابة أو زيد بن الخطاب رضي الله عنهما أخرجه أحمد (٤٥٥٧)، ومسلم (٢٢٣٣).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٢-٧٨٥٣ ، ١٨٥٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٠٩-١١٠ .

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٤١٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٠ .

(٦) في (د): لِمَ، وفي(م): ثم.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ .

موضعاً[١]، وهو: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ عطفاً على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، ﴿وأنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ لا يجوز فيه إلَّا الفتح، لأنها في موضع اسم فاعل«أُوحِيَ»، فما بعده معطوفٌ عليه. وقيل: هو محمول على الهاء في «آمَنَّا بِهِ»، أي: وبـ«أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا»، وجاز ذلك وهو مضمَر مجرور، لكثرة حذف الجارّ[٢] مع «أنَّ». وقيل: المعنى: أي: وصدَّقنا أنه جَدُّ ربِّنا.

وقرأ الباقون كلَّها بالكسر، وهو الصواب، واختاره أبو عبيد[٣] وأبو حاتم عطفاً على قوله: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا»لأنه كله من كلام الجنِّ.

وأما أبو جعفر وشيبة فإنهما فتحا ثلاثةَ مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾[٤]، قالا: لأنه من الوحي، وكسرا مابقي، لأنه من كلام الجنِّ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فكلُّهم فتحوا إلَّا نافعاً وشيبةَ وزرَّ بن حُبيش وأبا بكر والمفضَّل عن عاصم، فإنهم كسروا لا غير[٥].

ولا خلاف في فتح همزة﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، ﴿وأَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر مابعد القول، نحوُ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾

---

(١) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥، والنشر ٢/ ٣٩١. وعن علقمة أخرجها الفراء ٣/ ١٩١، ونسبها له وليحيى والأعمش النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٦.

(٢) في النسخ: حرف الجارّ، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٣.

(٣) في(د) و(م): أبو عبيدة.

(٤) النشر ٢/ ٣٩١ عن أبي جعفر، وهو من العشرة.

(٥) قراءة نافع وأبي بكر عن عاصم في السبعة ص٦٥٦، والتيسير ص٢١٥.

و﴿قَالَ[١] إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ و﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾و﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾.

وكذلك لاخلاف في كسر ماكان بعد فاء الجزاء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾و﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ لأنه موضع ابتداء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجَدُّ في اللغة: العظَمة والجلال، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا حَفِظَ«البقرة» و«آل عمران» جَدَّ في عيوننا[٢]، أي: عَظُم وجَلَّ. فمعنى: « جدُّ رَبِّنَا» أي: عظمته وجلاله، قاله عكرمة ومجاهدٌ وقتادة. وعن مجاهد أيضاً: ذِكْرُه. وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضاً: غناه. ومنه قيل للحظِّ: جَدٌّ، ورجل مجدود، أي: محظوظ، وفي الحديث: «ولا ينفع ذا الجَدِّ، منك الجَدّ»[٣] قال أبو عبيد[٤] والخليل: أي: ذا الغنى منك الغنى، إنما تنفعه الطاعة. وقال ابن عباس: قدرته. وقال الضحاك: فِعْله. وقال القُرَظيُّ والضحَّاك أيضاً: آلاؤه ونعمه على خلقه. وقال أبو عبيدة[٥]والأخفش: ملكه وسلطانه. وقال السديّ: أمره. وقال سعيد ابن جُبير: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾أي: تعالى ربُّنا. وقيل: إنهم عَنَوا بذلك الجَدَّ الذي هو أب الأب، ويكون هذا من قول الجن[٦] .

وقال محمد بن عليّ بن الحسين وابنهُ جعفر الصادق والربيع: ليس لله تعالى جَدّ، وإنما قالته الجنُّ للجهالة، فلم يؤاخذوا به[٧].

وقال القشيريّ: ويجوز إطلاق لفظ الجدِّ في حقِّ الله تعالى، إذ لو لم يجز لَمَا

---

(١) قرأ عاصم وحمزة «قل» بغير ألف. السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص ٢١٥ .

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢١٥) مطولاً.

(٣) سلف ١٩/ ٤٦٣ .

(٤) في (د) و(م): أبو عبيدة.

(٥) مجاز القرآن٢/ ٢٧٢ .

(٦) ينظر لهذه الأقوال تفسير الطبري ٢٣/ ٣١٢-٣١٥ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٠، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ بنحوه، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣١٥ عن محمد أبي جعفر الباقر. قال ابن عطية: قال كثير من المفسرين: هذا قول ضعيف.

ذُكِرَ في القرآن، غير أنه لفظ مُوهم ، فتجنُّبه أولى.

وقرأ عِكرمة: «جِدّ» بكسر الجيم؛ على ضد الهَزْل. وكذلك قرأ أبو حَيْوة ومحمد ابنُ السَّمَيفع.

ويروى عن ابن السَّمَيفع أيضاً وأبي الأشهب: «جَدَا رَبِّنا» وهو الجَدْوى، والمنفعة.

وقرأ عكرمة أيضاً: «جَدًّا» بالتنوين؛ «رَبُّنَا» بالرفع على أنه مرفوع بـ«تعالى»، و«جَدًّا» منصوب على التمييز.

وعن عكرمة أيضاً: «جَدٌّ» بالتنوين والرفع، «رَبُّنَا» بالرفع، على تقدير: تعالى جَدٌّ جَدُّ ربِّنا، فـ«جَدّ» الثاني بدلٌ من الأول، وحذف وأقيم المضافُ إليه مُقامه[١]

ومعنى الآية: وأنه تعالى جلالُ ربِّنا أن يتَّخذ صاحبةً وولداً للاستئناس بهما والحاجةِ إليهما، والربُّ يتعالى عن الأنداد والنظراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ الهاء في «أَنَّهُ» للأمر أو الحديث، وفي «كان» اسمها، وما بعدها الخبر. ويجوز أن تكون «كان» زائدة[٢].

والسفيه هنا إبليس في قول مجاهدٍ وابن جريح وقتادة. ورواه أبو بُرْدة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ[٣]. وقيل: المشركون من الجنّ. قال قتادة: عصاه سفيه الجنِّ كما عصاه سفيه الإنس[٤] .

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٢ ، وفيه القراءتان عن عكرمة.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١١٠ دون ذكر ابن جريح، وقول مجاهد وقتادة أخرجه الطبري٢٣/ ٣٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢١ .

والشطط والاشتطاط: الغلوُّ في الكفر. وقال أبو مالك: هو الَجْور. وقال الكلبيّ: هو الكذب. وأصله البعد، فيعبَّر به عن الَجْور لبعده عن العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق[١]، قال الشاعر:

بأيّة حالٍ حكَّموا فيك فاشتطُّوا ... وماذاكَ إلا حيثُ يَمَّمك الوَخْطُ[٢]

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾أي: حَسِبنا ﴿أَن لَّن نَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فلذلك صدَّقناهم في أنَّ لله صاحبةً وولداً، حتى سمعنا القرآنَ وتبيَّنَّا به الحقّ.

وقرأ يعقوب والجحدريُّ وابن أبي إسحاق: «أَنْ لَنْ تَقَوَّل»[٣] .

وقيل: انقطع الإخبار عن الجنِّ هاهنا، فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فمن فَتَحَ وجعله من قول الجنّ، ردَّها إلى قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ»، ومن كسر جعلها مبتدأً من قول الله تعالى. والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بوادٍ: أعوذ بسيِّد هذا الوادي مِن شرِّ سفهاء قومه، فَيبيت في جِواره حتى يُصبح، قاله الحسن وابن زيد وغيرهما[٤]. قال مقاتل: كان أَوَّل مَن تعوَّذ بالجنِّ قومٌ من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب[٥]، فلمَّا جاء الإسلام، عاذوا بالله وتركوهم.

وقال كَرْدَم بن أبي السائب[٦]: خرجت مع أبي إلى المدينة أَوَّلَ ما ذُكر النبيُّ ﷺ،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٠ .

(٢) لم نقف عليه. والوخط: الشيب.

(٣) قراءة يعقوب في النشر٢/ ٣٩٢، وهي من العشرة، وقراءة الجحدري في القراءات الشاذة ص١٦٢ والمحتسب ٢/ ٣٣٣ .

(٤) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٣٢٢-٣٢٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠ .

(٦) الأنصاري. قال البخاري وابن السكن: له صحبة. وقال ابن حبان: يقال: له صحبة، ثم أعاده في التابعين، فقال: يروي المراسيل. وقال أبو عمر: يقال: له صحبة، سكن المدينة، ومخرج حديثه عن أهل الكوفة. الإصابة ٨/ ٢٧٦ .

فآوانا المبيتُ إلى راعي غنم، فلمَّا انتصف الليل، جاء الذئب فأخذ حَمَلاً من الغنم، فقال الراعي: ياعامرَ الوادي، جارُك. فنادى منادٍ لا نراه: ياسِرْحان أرسله، فأتى الحَمَلُ يَشْتدّ، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[١] أي: زاد الجنُّ الإنسَ رَهَقاً، أي: خطيئة وإثماً، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[٢].

والرَّهَق: الإثم في كلام العرب وغِشْيانُ المحارم[٣]، ورجلٌ رَهِقٌ: إذا كان كذلك، ومنه قولهُ تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧]، وقال الأعشى[٤]:

لاشيءَ ينفعُني مِن دونِ رؤيتِها هل يَشتفي عاشقٌ[٥] مالم يُصِب رَهَقا

يعني إثماً. وأضيف الزيادة إلى الجنِّ إذ كانوا سبباً لها. وقال مجاهدٌ أيضاً: «فَزَادُوهم» أي: إنَّ الإنس زادوا الجنَّ طغياناً بهذا التعوُّذ، حتى قالت الجنّ: سُدنا الإنسَ والجنَّ[٦]. وقال قتادة أيضاً وأبو العالية والربيع وابن زيد: ازداد الإنس بهذا فَرَقَاً وخوفاً من الجنِّ[٧]. وقال سعيد بن جُبير: كفراً[٨]. ولا خفاءَ أنَّ الاستعاذة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٤٠ـ والطبراني في الكبير ١٩/ ١٩١-١٩٢ (٤٣٠)، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٤، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٢. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٢٩ : فيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. قال ابن أبي حاتم: وروي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه. قال ابن كثير: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل ـ وهو ولد الشاة ـ كان جنيًّا حتى يُرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجاربه، ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٤-٣٢٥ عن ابن عباس وقتادة وإبراهيم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٢.

(٤) ديوانه ص٤١٥ .

(٥) في (م): وامق، أي: محبّ.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥ مختصراً. وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٤ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٥-٣٢٦ عن الربيع وابن زيد، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١١ عن أبي العالية.

(٨) النكت والعيون ٦/ ١١١ .

بالجنِّ دون الاستعاذةِ بالله كفرٌ وشرك.

وقيل: لا يطلق لفظُ الرجال على الجنِّ، فالمعنى: وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجنِّ برجالٍ من الإنس، وكان الرجلُ من الإنس يقول مثلاً: أعوذ بحذيفة بنِ بدر من جنِّ هذا الوادي.

قال القشيريّ: وفي هذا تحكُّم، إذ لا يَبْعُدُ إطلاقُ لفظ الرجال على الجنّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا مِن قول اللهِ تعالى للإنس، أي: وأنَّ الجنَّ ظنُّوا أنْ لن يبعثَ اللهُ الخلقَ كما ظننتم. قال الكلبيّ: المعنى: ظنَّت الجنُّ كما ظنَّت الإنس أنْ لن يبعث الله رسولاً إلى خلقه يقيمُ به الحجَّةَ عليهم[1]. وكلٌّ هذا توكيدٌ للحجَّة على قريش، أي: إذا آمن هؤلاء الجنُّ بمحمد، فأنتم أحقُّ بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ هذا من قول الجنّ، أي: طلبنا خبرَها كما جرت عادتنا، فوجدناها قد مُلِئت حَرَساً شديداً، أي: حَفَظة، يعني الملائكة. والحَرَس: جمع حارس «وشُهُباً» جمع شهاب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع[2]. وقد مضى القولُ فيه في سورة الحِجْر والصافَّات[3].

و«وجَدَ» يجوز أن يقدَّر متعدِّياً إلى مفعولين، فالأوَّل الهاء والألف، و« مُلِئت» في موضع المفعول الثاني، ويجوز أن يتعدَّى إلى مفعول واحد، ويكون «مُلئت» في

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ٣٢٦-٣٢٧ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٢ .

(٣) ١٢/ ١٨٦ فما بعد، ١٨/ ١٠ فما بعد.

موضع الحال على إضمار «قد»[١]. و«حَرَساً» نصب على المفعول الثاني بـ«مُلِئت»[٢]. و«شديداً» من نعت الحَرس، أي: ملئت ملائكةً شِداداً.

ووحّد الشّديد على لفظ الحرَس، وهو كما يقال: السَّلَف الصالح، بمعنى الصالحين، وجمع السَّلَف: أسلاف، وجمع الحرس: أحراس، قال:

تـجاوزتُ أحـراسـاً وأهـوالَ مَـعْـشَـرٍ[٣]

ويجوز أن يكون «حَرَساً» مصدراً على معنى: حُرِستْ حراسةً شديدةً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ «مِنْهَا» أي: من السماء، و«مَقَاعِدَ»: مواضع يُقْعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء، يعني أنَّ مَرَدة الجنّ كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبارَ السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة، على ما تقدَّم بيانه[٤]، فَحَرسها اللهُ تعالى حين بعث رسولَه بالشُّهب المحرِقة، فقالت الجنُّ حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ يعني بالشهاب الكوكبَ المُحرِق[٥]، وقد تقدَّم بيانُ ذلك[٦].

ويقال: لم يكن انقضاضُ الكواكب إلَّا بعد مبعث النبيِّ ﷺ، وهو آيةٌ من آياته[٧].

واختلف السَّلف: هل كانت الشياطين تُقذَف قبل المبعث، أو كان ذلك أمراً حدث لمبعث النبيِّ ﷺ؟ فقال الكلبيُّ وقال قوم: لم تكن تُحرس السماء في الفترة بين

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٨ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ قال النحاس: والأول أولى، وبنحوه قال مكي .

(٢) والأظهر أنه تمييز كما في البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٦٦ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٤ .

(٣) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: عليَّ حِرَاصٌ لو يُشِرُّون مقتلي، وهو في ديوانه ص١٣ ، وسلف ١٤/ ٣٠٣ .

(٤) في المسألة الثانية، وينظر ١٥/ ٦٦ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢ .

(٦) ١٨/ ١٢ - ١٣ .

(٧) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٤ .

عيسى ومحمدٍ صلوات الله عليهما وسلامه، خمس مئة عام، وإنما كان من أجل بعثة النبيِّ ﷺ، فلما بُعث محمدٌ ﷺ منعوا من السماوات كلِّها، وحُرست بالملائكة والشُّهب.

قلت: ورواه عطية العوفيُّ عن ابن عباس، ذكره البيهقي[١].

وقال عبد الله بن عمر[٢]: لمَّا كان اليومُ الذي نُبِّئ رسولُ الله ﷺ، مُنعت الشياطين ورُموا بالشُّهب. وقال عبد الملك بن سابور[٣]: لم تكن السماء تُحرس في الفترة بين عيسى ومحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، فلما بُعث محمدٌ ﷺ حُرست السماء، ورُميت الشياطين بالشُّهب، ومُنعت من الدُّنوّ من السماء. وقال نافع ابن جُبير: كانت الشياطين في الفترة تَسمع فلا تُرمَى، فلما بعث رسولُ الله ﷺ رُميت بالشُّهب. ونحوهُ عن أُبيٍّ بن كعب قال: لم يُرمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى نُبِّئ رسولُ الله ﷺ فرُمي بها[٤].

وقيل: كان ذلك قبل المبعث، وإنما زادت بمبعث رسولِ الله ﷺ إنذاراً بحاله[٥]؛ وهو معنى قولِهِ تعالى: ﴿مُلِئَتْ﴾ أي: زيد في حَرَسها؛ وقال أَوْس بن حَجَر، وهو جاهلي:

فانقضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ ... نَقْعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُبا

وهذا قول الأكثرين[٦]. وقد أنكر الجاحظُ هذا البيتَ وقال: كلُّ شعر رُوي فيه فهو مصنوع[٧]، وأنَّ الرمي لم يكن قبل المبعث.

---

(١) في دلائل النبوة ٢/ ٢٤٢.

(٢) في(ظ): عبد الله بن المبارك، والأثر أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٧٩) عن عبد الله بن عمرو.

(٣) لم نقف على ترجمته.

(٤) أخرجه الواقدي وأبو نعيم كما في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

(٦) المصدر السابق. والبيت في ديوان أوس ص٣. الطُّنب: حبل الخِباء. الصحاح (طنب).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٢.

والقولُ بالرمي أصحّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾. وهذا إخبارٌ عن الجنّ، أنه زِيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم؛ ولِمَا رُوي عن ابن عباس قال: بينما النبيُّ ﷺ جالسٌ في نفر من أصحابه إذ رُمي بنجم، فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنَّا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم. فقال النبيُّ ﷺ: «إنها لا تُرْمَى لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكنَّ ربَّنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً في السماء؛ سبَّح حَمَلةُ العرش، ثم سبَّح أهل كلِّ سماء، حتى ينتهيَ التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبرُ أهلُ السماء حَمَلةَ العرش: ماذا قال ربُّكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كلِّ سماءٍ حتى ينتهيَ الخبرُ إلى هذه السماء، فتتخَطَّف الجنُّ، فيُرْمَون، فما جاؤوا به فهو حقّ، ولكنهم يزيدون فيه»[1]. وهذا يدلُّ على أنَّ الرجم كان قبل المبعث.

وَرَوى الزُّهريُّ نحوَه عن عليِّ بن الحسين بن[2] عليِّ بن أبي طالب، عن ابن عباس، وفي آخره: قيل للزهريِّ: أكان يُرمَى في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرأيت قولَه سبحانه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال: غُلِّظت وشُدِّد أمرُها حين بُعث النبيُّ ﷺ[3]. ونحوَه قال القُتبي. قال ابن قتيبة: كان، ولكن اشتدَّت الحراسة بعد المبعث؛ وكانوا من قبلُ يسترِقُون ويُرمَون في بعض الأحوال، فلما بُعث محمدٌ ﷺ مُنعت من ذلك أصلاً[4].

وقد تقدَّم بيانُ هذا في سورة الصافات عند قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[5] [الآية: ٨-٩] قال الحافظ: فلو قال قائل: كيف تتعرَّض الجنُّ

(١) أخرجه أحمد (١٨٨٣)، ومسلم (٢٢٢٩) من طريق الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) في (د) و(م): عن، وهو خطأ.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٣٧، وهذه الرواية عند أحمد (١٨٨٢) في أثناء الحديث.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٣٣٣.

(٥) ١٨/ ١٢ - ١٣.

لإحراقِ نفسِها بسبب استماعِ خبر، بعد أن صار ذلك معلوماً لهم؟

فالجواب: أنَّ الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تَعْظُمَ المِحْنة، كما ينسَى إبليس في كلِّ وقتٍ أنه لا يسلم، وأنَّ الله تعالى قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥] ولولا هذا لَمَا تحقَّقَ التكليف.

والرَّصَد؛ قيل: من الملائكة، أي: ورَصَداً من الملائكة. والرَّصَدُ: الحافظ للشيء، والجمع أرصاد، وفي غير هذا الموضعِ يجوز أن يكون جمعاً كالحرس، والواحد: راصد. وقيل: الرَّصَد هو الشِّهاب، أي: شهاباً قد أُرصد له، ليُرجَمَ به؛ فهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، كالخَبَط والنَّفَض[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بهذا[٢] الحرسِ الذي حُرست بهم السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أي: خيراً.

قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري هل أراد الله بهذا المنع أن يُنزل على أهل الأرض عذاباً أو يُرسل إليهم رسولاً؟[٣]

وقيل: هو من قول الجنِّ فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءةَ النبيِّ ﷺ. أي: لا ندري أَشَرٌّ أُرِيدَ بمَن في الأرض بإرسال محمدٍ إليهم، فإنهم يكذِّبونه ويَهلكون بتكذيبه كما هلك مَن كذَّب مِن الأمم، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا. فالشرُّ والرَّشَد على هذا الكفرُ والإيمان؛ وعلى هذا كان عندهم علمٌ بمبعث النبيِّ ﷺ، ولمَّا سمعوا قراءته علموا أنهم مُنعوا من السماء حراسةً للوحي.

وقيل: لا؛ بل هذا قولٌ قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين، أي: لمَّا آمنوا أشفقوا ألَّا يؤمنَ كثير من أهل الأرض، فقالوا: إنا لا ندري أيكفر أهلُ الأرض بما آمنَّا به أم يؤمنون؟

---

(١) الخَبَط: ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط، ونحوه النَّفَض.

(٢) في (د) و(م): هذا.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢٨ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ هذا من قول الجنِّ، قال بعضهم لبعض لمَّا دَعَوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ: وإنَّا كنَّا قبل استماع القرآنِ منَّا الصالحون ومنَّا الكافرون.

وقيل: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: دون الصالحين في الصلاح، وهو أشبه مِن حَمْله على الإيمان والشرك[1].

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: فِرَقاً شتَّى؛ قاله السُّدِّيّ. الضَّحاك: أدياناً مختلفة[2]. قتادة: أهواءً متباينة[3]؛ ومنه قول الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادي لطاعتهِ   في فتنة الناسِ إذ أهواؤهمْ قِدَدُ[4]

والمعنى: أي: لم يكن كلُّ الجنِّ كفاراً، بل كانوا مختلفين؛ منهم كفَّار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء. وقال المسيّب[5]: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس. وقال السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجنّ مِثلُكم: قَدَريَّة، ومُرْجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسُنِّية[6]. وقال قوم: أي: وإنَّا بعد استماع القرآن مختلفون: منَّا المؤمنون ومنَّا الكافرون. أي: ومنَّا الصالحون، ومنَّا مؤمنون لم يتناهَوا في الصلاح. والأوَّل أحسن؛ لأنه كان في الجنّ مَن آمن بموسى وعيسى، وقد أخبر اللهُ عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ . .

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٠ .

(٤) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٦٣، والكلام في النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٥) في فتح القدير٥/ ٣٠٦ :سعيد بن المسيب.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ ، وزاد المسير ٨/ ٣٨٠ عن الحسن والسدي.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وهذا يدلُّ على إيمان قومٍ منهم بالتوراة، وكان هذا مبالغةً منهم في دعاء مَن دَعَوهم إلى الإيمان. وأيضاً لا فائدة في قولهم: نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر.

والطرائق: جمع الطريقة، وهي مذهب الرجل، أي: كنَّا فِرَقاً مختلفة. ويقال: القوم طرائق، أي: على مذاهبَ شتّى. والقِدَد: نحوٌ من الطرائق، وهو توكيدٌ لها، واحدها: قِدَّة. يقال: لكل طريق قِدَّة، وأصلها مِن قَدِّ السُّيور، وهو قَطْعُها؛ قال لبيد يرثي أخاه أَرْبَد[1]:

لم تَبْلُغ العينُ كلَّ نَهْمَتِها ... ليلةَ تُمْسي الجيادُ كالقِدَدِ

وقال آخر:

ولقد قلتُ وزيدٌ حاسرٌ ... يومَ وَلَّتْ خيلُ عَمْرٍو قِدَدا[2]

والقِدّ ـ بالكسر ـ سَيْر يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ؛ ويقال: ماله قِدٌّ ولا قِحْف؛ فالقِدُّ: إناء من جلد، والقِحف: من خشب[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الظنُّ هنا بمعنى العلمِ واليقين، وهو خلاف الظنِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ أي: عَلِمْنا بالاستدلال والتفكُّر في آيات الله أَنَّا في قبضته وسلطانه، لن نفوتَه بهرب ولا غيرِه. و﴿هَرَبًا﴾ مصدرٌ في موضع الحال[4]، أي: هاربين.

---

(١) في النسخ: زيداً، والتصويب من المصادر، والبيت في ديوان لبيد ص٥٠.

(٢) نسبه الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٣٠٦ للبيد، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٧٣ فقال: وأخرج الطستي في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله... قال ابن عباس: أما سمعت الشاعر وهو يقول... ثم ذكره.

(٣) الصحاح (قدد).

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٤٩.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وبالله، وصدَّقنا محمداً ﷺ على رسالته. وكان ﷺ مبعوثاً إلى الإنس والجنِّ. قال الحسن: بعث اللهُ محمداً ﷺ إلى الإنس والجنِّ، ولم يبعث الله تعالى قطُّ رسولاً من الجنِّ، ولا من أهل البادية، ولا من النساء؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩](١) وقد تقدَّم هذا المعنى(٢). وفي الصحيح(٣): «وبُعثتُ إلى الأحمر والأسود» أي: الإنس والجنّ.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال ابن عباس: لا يخاف أن يُنْقَص من حسناته ولا أن يزادَ في سيئاته؛ لأن البخس النقصان، والرَّهَق العدوان(٤) وغشيان المحارم، قال الأعشى(٥):

لا شيء ينفعني من دونِ رؤيتِها هل يَشتفي وامِقٌ مالم يُصِبْ رَهَقاً

الوامق: المحبّ؛ وقد وَمِقَه يمِقُه ـ بالكسر ـ أي: أحبَّه، فهو وامق(٦).

وهذا قولٌ حكاه الله تعالى عن الجِنِّ؛ لقُوَّة إيمانهم وصِحَّةِ إسلامهم(٧).

وقراءة العامة: «فَلَا يَخَافُ» رفعاً، على تقدير: فإنه لا يخاف. وقرأ الأعمش

(١) النكت والعيون ٦/ ١١٣ .

(٢) ١١/ ٤٦٩-٤٧٠

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١). وسلف ٤/ ٢٥٨ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١١٣-١١٤ . وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٢ .

(٥) ديوانه ص٤١٥ ، وسلف ص٢٨٤ من هذا الجزء.

(٦) الصحاح (ومق).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١٤ .

ويحيى وإبراهيم: «فَلَا يَخَفْ» جزماً على جواب الشرط وإلغاء الفاء[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي: وأنَّا بعد استماع القرآن مختلفون، فمنَّا مَن أسلم ومنَّا مَن كفر. والقاسط: الجائر، لأنه عادلٌ عن الحقّ، والمُقْسِط: العادل؛ لأنه عادل إلى الحق؛ قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل؛ قال الشاعر[٢]:

قومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنوةً عَمْراً وهمْ قَسَطُوا على النُّعْمانِ

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ أي: قصدوا طريق الحقِّ وتوخَّوه[٣]. ومنه تحرِّي القِبلة. ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي: الجائرون عن طريق الحقِّ والإيمان ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي: وَقوداً. وقوله: ﴿فَكَانُواْ﴾ أي: في علم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ هذا مِن قول الله تعالى. أي: لو آمن هؤلاء الكفار، لوسَّعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق. وهذا محمولٌ على الوحي، أي: أُوحي إليَّ: أنْ لو استقاموا.

ذكر ابن بحر: كلُّ ما في السورة مِن «إنَّ» المكسورة المثقَّلة فهي حكايةٌ لقول الجِنِّ الذين استمعوا القرآن، فرجعوا إلى قومهم منذرين، وكلُّ ما فيها مِن «أنْ» المفتوحة المخففة[٤] فهي وحيٌ إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) نسب القراءة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٩، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ للأعمش ويحيى بن وثاب، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ ليحيى بن وثاب.

(٢) هو الفرزدق، والبيت في الشعر والشعراء ١/ ٢٣٥، والمحرر ٥/ ٣٨٢، والأغاني ١١/ ٥٤، والخزانة ٦/ ٩.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٣.

(٤) بعدها في النكت والعيون ٦/ ١١٦ـ والكلام منه ـ: أو المثقلة. اهـ. وفي هذا الكلام خلاف، وينظر ما سلف ص٢٧٩-٢٨٠ من هذا الجزء.

وقال ابن الأنباريّ[١]: ومَن كسر الحروف وفتح «وأَنْ لو استقاموا» أضمر يميناً تامًّا[٢]، تأويلها: واللهِ أنْ لو استقاموا على الطريقة؛ كما يقال في الكلام: والله أنْ [لو] قمتَ لقمتُ، ووالله لو قمتَ قمتُ؛ قال الشاعر:

أَمَــا والــلــهِ أنْ لــو كُــنــتَ حُــرًّا   ومـا بِـالـحُـرِّ أنـتَ ولا الـعـتِـيـقِ[٣]

ومَن فتح ما قبل المخفَّفة نسَقها ـ أعني الخفيفة ـ على: «أوحيَ إليَّ أنَّه»، «وأنْ لو استقاموا»، أو على[٤]: «آمنَّا به» وبأن لو استقاموا. ويجوز لمن كسر الحروف كلَّها إلى «أن» المخففة، أن يعطف المخفَّفةَ على: «أُوحيَ إليَّ» أو على: «آمنَّا به»، ويستغني عن إضمار اليمين.

وقراءة العامة بكسر الواوِ مِن «لو»؛ لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن وثّاب والأعمش بضمِّ الواو[٥].

﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ أي: واسعاً كثيراً، وكانوا قد حُبِس عنهم المطرُ سبعَ سنين[٦]؛ يقال: غَدِقت العينُ تَغدَق فهي غَدِقة: إذا كَثُر ماؤها. وقيل: المراد الخلق كلُّهم، أي: «لو استقاموا على الطَّريقة» طريقةِ الحقِّ والإيمان والهدى، وكانوا مؤمنين مطيعين، «لَأسقيناهُمْ ماءً غَدَقاً» أي كثيراً: «لِنَفتِنَهُمْ فيه» أي: لنختبرهم كيف شكرُهم فيه على تلك النِّعَم.

وقال عمر في هذه الآية: أينما كان الماءُ كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة[٧]. فمعنى «لَأسقيناهُمْ»: لوسَّعنا عليهم في الدنيا؛ وضَرَب الماءَ الغَدَقَ الكثيرَ

---

(١) في الوقف والابتداء ٢/ ٩٥١-٩٥٢ . وما سيرد بين حاصرتين منه.
(٢) قوله: تامًّا، ليس في الوقف والابتداء.
(٣) سلف ١١/ ٣٣٦ .
(٤) في النسخ الخطية والمصدر: وعلى، والمثبت من (م).
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٣ ، والمحتسب ٢/ ٣٣٣ .
(٦) قاله مقاتل كما في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣ .
(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٧ .

لذلك مثلاً؛ لأنَّ الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأُقيم مقامه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦][١] أي: بالمطر. والله أعلم.

وقال سعيد بن المسيّب وعطاء بن أبي رَبَاح والضحَّاك وقتادة ومقاتل وعطية وعُبيد بنُ عمير والحسن: كان ـ واللهُ ـ أصحابُ النبيِّ ﷺ سامعين مطيعين، ففُتحت عليهم كنوزُ كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشيِّ ففُتنوا بها، فوثبوا على إمامهم فقتلوه. يعني عثمان بنَ عفَّان[٢].

وقال الكلبيُّ وغيره: «وأنْ لو استقاموا على الطَّريقة» التي هم عليها من الكفر فكانوا كلُّهم كفاراً، لوَّسعنا أرزاقهم مكراً بهم واستدراجاً لهم، حتى يَفتتنوا بها، فنعذِّبهم بها في الدنيا والآخرة. وهذا قولٌ قاله الربيع بنُ أنس وزيد بن أسلم وابنه والكلبيُّ والثُّماليُّ وَيَمَان بنُ رِئاب وابن كيسان وأبو مِجْلَز؛ واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤][٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣].

والأوَّل أشبه؛ لأنَّ الطريقة معرَّفةٌ بالألف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقةَ الهدى[٤]؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلَّا مع الهدى. وفي صحيح مسلم[٥] عن

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٣.

(٢) ذكره عن الحسن وسعيد بن المسيب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣.

(٣) قول الربيع وزيد والكلبي وابن كيسان في تفسير البغوي ٤/ ٤٠٤، وعن أبي مجلز أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٦.

(٥) برقم (١٠٥٢): (١٢٢)، وسلف ١٣/ ٢٠٨.

أبي سعيد الخُدريّ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أخوفُ ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم مِن زَهْرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: «بركات الأرض..» وذَكَر الحديث. وقال عليه الصلاة والسلام: «فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا [كما بُسطت على مَن قبلكم] فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلِكَكم كما أهلكتهم»[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ يعني القرآن؛ قاله ابن زيد. وفي إعراضه عنه وجهان: أحدهما عن القَبول؛ إن قيل: إنها في أهل الكفر. الثاني عن العمل؛ إن قيل: إنها في المؤمنين[٢]. وقيل: «ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْر ربِّه» أي: لم يشكر نعمه.

﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قرأ الكوفيُّون وعبّاسٌ[٣] عن أبي عمرو: «يَسْلُكْهُ» بالياء، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لِذِكر اسم اللهِ أوّلاً فقال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾. الباقون: «نَسْلُكْهُ» بالنون[٤]. وروي عن مسلم بن جُندب ضمُّ النون وكسرُ اللام[٥]. وكذلك قرأ طلحة والأعرج، وهما لغتان، سلكه وأسلكه بمعنىً؛ أي: ندخله.

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: شاقّاً شديداً. قال ابن عباس: هو جبل في جهنم[٦]. الخدريّ[٧]: كلَّما جعلوا أيديهم عليه ذابت. وعن ابن عباس: أنَّ المعنى: مشقَّة من العذاب[٨]. وذلك معلوم في اللغة أنَّ الصَّعَد: المشقة، تقول: تَصعَّدتني الأمر: إذا شقَّ عليك؛ ومنه قول عمر: ما تَصعَّدني شيءٌ ما تَصعَّدتني خُطبة النكاح، أي: ما شقَّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٣٤)، والبخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﷺ. وما بين حاصرتين من هذه المصادر.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٨.

(٣) في (د) و(ظ) و(م): عياش. ولم نقف على هذه الرواية.

(٤) السبعة ص٦٥٦، والتيسير ٢١٥.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٥١ وهي قراءة شاذة.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٩.

(٧) قوله: الخدري، ليس في (ظ).

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٣٩.

عليّ[١]. وعذاب صَعَد ، أي شديد. والصَّعَد: مصدر صَعِد؛ يقال: صَعِدَ صَعَداً وصُعوداً، فوصف به العذاب؛ لأنه يتصعَّد المعذَّب، أي: يعلوه ويغلبه، فلا يطيقه[٢]. وقال أبو عبيدة[٣]: الصَّعَد مصدر، أي: عذاباً ذا صَعَدٍ، والمشي في الصَّعود يشقّ. والصَّعود: العقبة الكؤود[٤]. وقال عكرمة: هو صخرة ملساء في جهنم يُكلَّف صعودَها؛ فإذا انتهى إلى أعلاها حُدِر إلى جهنم[٥].

وقال الكلبيّ: يكلَّف الوليد بنُ المغيرة أن يصعد جبلاً في النار من صخرة ملساء، يُجذب من أمامه بسلاسل، ويُضرب مِن خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها، ولا يبلغُ إلّا[٦] في أربعين سنة. فإذا بلغ أعلاها أُحْدِر إلى أسفلها، ثم يكلَّف أيضاً صعودَها، فذلك دأبُه أبداً، وهو قولهُ تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

فيه ستُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ «أنَّ» بالفتح، قيل: هو مردودٌ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: قل أُوحي إليَّ أنَّ المساجد لله. وقال الخليل: أي: ولأنَّ المساجد لله[٧]. والمراد البيوت التي تبنيها أهلُ المِللِ للعبادة. وقال سعيد بن جبير: قالت الجِنّ: كيف لنا أن نأتيَ المساجدَ ونشهدَ معك الصلاةَ ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾[٨] أي: بُنيت لِذِكر الله وطاعته.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١ ، والكشاف ٤/ ١٧٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٢) الكشاف ٤/ ١٧٠ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٣، ووقع في (ز) و(ظ): أبو عبيد.

(٤) الصحاح (صعد).

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٩٤ دون نسبة.

(٦) لفظة: إلا، من (ظ). وهذا القول ذكره الفراء مختصراً دون نسبة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ .

(٨) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤١ .

وقال الحسن: أراد بها كلَّ البقاع؛ لأن الأرض كلَّها مسجد للنبيِّ ﷺ[١]، يقول: أينما كنتم فصلُّوا، فأينما صلَّيتم فهو مسجد[٢] وفي الصحيح[٣]: «وجُعلت ليَ الأرضُ مسجداً وطَهوراً».

وقال سعيد بن المسيّب وطَلْق بنُ حبيب: أراد بالمساجد الأعضاءَ التي يَسجد عليها العبد[٤] وهي: القدمان، والركبتان، واليدان، والوجه؛ يقول: هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجدْ لغيره بها، فتجحدَ نعمةَ الله. قال عطاء: مساجدك: أعضاؤك التي أُمرت أن تسجد عليها لا تذلِّلها لغير خالقِها.

وفي الصحيح[٥] عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعظُم: الجبهةِ ـ وأشار بيده إلى أنفه ـ واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين». وقال العباس: قال النبيُّ ﷺ «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب»[٦].

وقيل: المساجد: هي الصلوات، أي: لأن السجود لله. قاله الحسن أيضاً[٧].

فإن جعلت المساجدَ المواضع، فواحدُها مَسجِد، بكسر الجيم، ويقال بالفتح، حكاه الفرَّاء. وإن جعلتها الأعضاء، فواحدها مَسجَد، بفتح الجيم[٨].

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٧، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٤.

(٢) أخرج أحمد (٢١٣٣٣)، والبخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠) عن أبي ذر ﷺ مرفوعاً ضمن حديث: «أينما أدركتك الصلاة فصلِّ، فهو مسجد».

(٣) صحيح البخاري (٣٣٥)، وصحيح مسلم (٥٢١)، وسلف ٢/ ٢٨٣.

(٤) نسب هذا القول الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢ لسعيد بن جبير، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ للربيع، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ لابن عطاء.

(٥) صحيح البخاري (٨١٢)، وصحيح مسلم (٤٩٠): (٢٣٠). وسلف ٢/ ٢٨.

(٦) أخرجه أحمد (١٧٦٤)، ومسلم (٤٩١) قوله: آراب، أي: أعضاء، واحدها إرْبٌ، بالكسر والسكون، والمراد بها الأعضاء السبعة المذكورة قبل.

(٧) ذكر قوله أبو الليث في تفسيره٣/ ٤١٣، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١١٩ لابن شجرة.

(٨) تفسير البغوي٤/ ٤٠٤، وكلام الفراء في الصحاح(سجد).

وقيل: هو جمع مَسجَد، وهو السجود، يقال: سجدت سجوداً ومَسجَداً، كما تقول: ضربت في الأرض ضَرْباً ومَضرَباً، بالفتح: إذا سرتَ في ابتغاء الرِّزق[١].

وقال ابن عباس: المساجد هنا مكةُ التي هي القِبلة، وسمِّيت مكة المساجد، لأنَّ كلَّ أحدٍ يسجد إليها.

والقول الأوَّل أظهر هذه الأقوالِ إن شاء الله، وهو مرويٌّ عن ابن عباس رحمه الله[٢].

الثانية: قوله تعالى: «لِلَّهِ» إضافةُ تشريفٍ وتكريم، ثم خصَّ بالذِّكر منها البيت العتيق، فقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج:٢٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لاتُعمَل المَطِيُّ إلَّا إلى ثلاثة مساجد»[٣] الحديث خرَّجه الأئمة. وقد مضى الكلامُ فيه. وقال عليه الصلاة والسلام: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام».

قال ابن العربي: وقد روي من طريق لابأس بها أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرام، فإنَّ صلاة فيه خيرٌ من مئة صلاة في مسجدي هذا» ولوصحَّ هذا لكان نَصًّا[٤].

قلت: هو صحيحٌ بنقل العدل عن العدل حَسب ما بيَّنَّاه في سورة إبراهيم[٥].

الثالثة: المساجد وإن كانت لله ملكاً وتشريفاً، فإنها قد تُنسب إلى غيره تعريفاً، فيقال: مسجد فلان. وفي صحيح الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ سابقَ بين الخيل التي أُضمرت

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٩١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٩ .

(٣) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أحمد (٢٣٨٤٨)، والنسائي ٣/ ١١٣-١١٤ . وسلف ٧/ ٧٢ بلفظ: لاتشد الرحال...

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٧ ، والحديث أخرجه أحمد(١٦١١٧)، وسلف ١٢/ ١٥١ .

(٥) ١٢/ ١٥١ .

من الحفياء، وأمدُها ثَنِيَّةُ الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمَّر من الثنيَّة إلى مسجد بني زُريق. وتكون هذه الإضافة بحكم المحلِّية كأنها في قبلتهم، وقد تكون بتحبيسهم، و لا خلاف بين الأمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر و إن اختلفوا في تحبيس غير ذلك[١].

الرابعة: مع أنَّ المساجد لله لا يُذكر فيها إلَّا الله، فإنه تجوز القِسمةُ فيها للأموال. ويجوز وضع الصَّدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين، وكلُّ مَنْ جاء أكل. ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير، والنومُ فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عَرِيَ عن الباطل[٢]. وقد مضى هذا كلُّه مبيَّناً في سورة براءة والنور وغيرِهما[٣].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ هذا توبيخٌ للمشركين في دعائهم مع الله غيرَه في المسجد الحرام[٤]. وقال مجاهد: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيَّه والمؤمنين أن يُخلِصوا لله الدعوةَ إذا دخلوا المساجد كلَّها[٥]. يقول: فلا تشركوا فيها صنماً وغيرَه مما يُعبد.

وقيل: المعنى: أَفرِدوا المساجدَ لذكر الله، ولا تتَّخذوها هُزُواً وَمتْجَراً ومجلساً، ولا طرقاً، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً[٦]. وفي الصحيح[٧]: «مَن نَشَد ضالَّةً في

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٥٧، والحديث أخرجه البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم(١٨٧٠)، وسلف ١١/ ٢٨٢

(٢) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨.

(٣) ١٠/ ١٥٢ فما بعد، ١٥/ ٢٧٠ فما بعد.

(٤) أحكام القرآن ٤/ ١٨٥٨.

(٥) أخرج هذا القول عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٢٣ عن قتادة. ونسبه له أيضاً أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤١٣، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٧، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٤، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٧٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٨٢.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ بنحوه.

(٧) صحيح مسلم (٥٦٨)، وسلف ١٥/ ٢٨١.

المسجد فقولوا: لا ردَّها الله عليك، فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لهذا».

وقد مضى في سورة النور ما فيه كفايةٌ من أحكام المساجد، والحمدُ لله.

السادسة: روى الضحَّاك عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا دخل المسجد قدَّم رِجلَه اليمنى، وقال: «وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا مع الله أَحَداً» اللهمَّ أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حقّ، وأنت خيرُ مزور، فأسألك برحمتك أن تَفُكَّ رقبتي من النار» فإذا خرج من المسجد قدَّم رجله اليسرى، وقال: « اللهم صُبَّ عليَّ الخيرَ صبًّا، ولا تَنزِع عني صالحَ ما أعطيتني أبداً، ولا تجعل معيشتي كَدًّا، واجعل لي في الأرض جَدًّا»[1] أي: غنىً.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾يجوز الفتح، أي: أُوحي اللهُ أنه.

ويجوز الكسر على الاستئناف. و«عبد الله» هنا محمدٌ ﷺ حين كان يصلِّي ببطن نخلة ويقرأ القرآن، حسب ما تقدَّم أوّلَ السورة﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يعبده. وقال ابن جُريج: « يَدْعُوهُ» أي: قام إليهم داعياً لهم إلى الله تعالى[2].

﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال الزبير بن العوَّام: هم الجنُّ حين استمعوا القرآن من النبيِّ ﷺ[3]. أي: كاد يركب بعضُهم بعضاً ازدحاماً ويسقطون حرصاً على سماع القرآن. وقيل: كادوا يركبونه حرصاً، قاله الضحَّاك[4]. ابن عباس: رغبةً في سماع الذِّكر. وروى بُردْ عن مكحول[5]: أنَّ الجنَّ بايعوا رسول الله ﷺ في هذه الليلة،

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٢٠ بنحوه .

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤٣ .

(٥) في النكت والعيون ٦/ ١٢١ : روى مكحول عن ابن مسعود، ثم ذكر الخبر.

وكانوا سبعين ألفاً، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر. وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ هذا من قول الجنِّ، لمَّا رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبيِّ ﷺ وائتمامِهم به في الركوع والسجود[١].

وقيل: المعنى: كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حَرَدًا[٢] على النبيِّ ﷺ. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني «لمَّا قام عبد الله» محمدٌ بالدعوة، تَلبَّدت الإنس والجنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأَبَى اللهُ إلَّا أن ينصره ويُتمَّ نوره.

واختار الطبريُّ[٣] أن يكون المعنى: كادت العرب يجتمعون على النبيِّ ﷺ، ويتظاهرون على إطفاء النورِ الذي جاء به. وقال مجاهد[٤]: قوله: «لِبَداً»: جماعات، وهو مِن: تَلَبَّد الشيءُ على الشيء، أي: تجمَّع، ومنه اللِّبْد الذي يفرش لتراكم صوفه. وكلُّ شيءٍ ألصقته إلصاقاً شديداً فقد لبَّدته[٥]، وجمع اللِّبدة: لِبَد، مثل: قِرْبة وقِرَب. ويقال للشَّعر الذي على ظهر الأسد: لِبْدة، وجمعها لِبَد[٦]، قال زهير:

لـدى أَسَـدٍ شـاكـي الـسِّـلاحِ مُـقَـذَّفٍ ... لـه لِـبَـدٌ أَظْـفـارُه لـم تُـقَـلَّـمِ[٧]

ويقال للجراد الكثير: لِبَد.

وفيه أربع لغات وقراءات: فتح الباء وكسر اللام، وهي قراءة العامَّة. وضمُّ اللام وفتح الباء، وهي قراءة مجاهدٍ وابنِ مُحَيْصن وهشام عن أهل الشام[٨]، واحدتها لُبْدة. وبضمِّ اللام والباء، وهي قراءة أبي حَيْوة ومحمد بنِ السَّمَيْفَع وأبي الأشهب

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٢٣) وقال: حديث حسن صحيح، والطبري ٢٣/ ٣٤٤ .

(٢) الحَرَد: الغضب. الصحاح(حرد).

(٣) في تفسيره ٢٣/ ٣٤٥ ، وفيه قول الحسن وقتادة وابن زيد.

(٤) ذكر قوله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥٢ ، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٣٧ .

(٦) الصحاح(لبد) بنحوه.

(٧) شرح ديوان زهير ص٢٣ . شاكي السلاح: أي: سلاحه ذو شوكة. المقذف: الغليظ اللحم.

(٨) السبعة ص٦٥٦ ، والتيسيرص٢١٥ ، وعن مجاهد وابن محيصن في القراءات الشاذة ص١٦٣ .

العُقَيلي والجَحْدري[١]. واحدها لَبْد، مثل: سَقْف وسُقُفٍ، ورَهْن ورُهُن. وبضَّم اللام وشدِّ الباء وفتحها، وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والجَحْدريِّ أيضاً[٢]. واحدها لابِد، مثل: راكع ورُكَّع، وساجِد وسُجَّد.

وقيل: اللُّبَد، بضم اللام وفتح الباء: الشيء الدائم، ومنه قيل لنَسر لقمان: لُبَد، لدوامه وبقائه، قال النابغة:

أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ[٣]

القشيريّ: وقُرئ: «لُبُداً» بضم اللام والباء، وهو جمع لَبِيد، وهو الجُوالِق[٤] الصغير.

وفي الصحاح: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد:٦] أي: جمًّا. ويقال أيضاً: الناس لُبَد، أي: مجتمعون، واللُّبَد أيضاً: الذي لايسافر ولايبرح [منزله] قال الشاعر[٥]:

مِـن امـرِئٍ ذي سَـمـاحٍ لا تـزال لـه بَـزْلاءُ يـعـيـا بـهـا الـجَـثَّـامـة الـلُّـبَـدُ

ويروى: اللِّبَد. قال أبو عُبيد: وهو أشبه[٦].

ولُبَد: آخر نسور لقمان، وهو ينصرف، لأنه ليس بمعدول. وتزعم العرب أنَّ لقمان هو الذي بعثته عاد في وَفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أُهلكوا، خُيِّر لقمان

(١) قراءة الجحدري في المحتسب ٢/ ٣٣٤ .

(٢) نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٣٤ للحسن والجحدري، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٣ للجحدري.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص٣١ ، وسلف ٢٠/ ١٠٤ ، وسيأتي قريباً بتمامه.

(٤) الجوالق: الوعاء. الصحاح (جلق).

(٥) هو الراعي النميري، والبيت في ديوانه ص٦٠ برواية: مِن أمرٍ ذي بدوات...

(٦) الصحاح (لبد)، وماسلف بين حاصرتين منه. ووقع بعدها في (م): والبزلاء: الرأي الجيد. وفلان نهاض ببزلاء: إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام، قال الشاعر:

إنـي إذا شَـغَـلـتْ قـومـاً فـروجُـهـمُ رحـبُ الـمـسـالـك نـهَّـاضٌ بـبـزلاءِ

بين بقاء سبع بعرات[١] سُمْر، مِن أَظْبٍ عفر، في جبل وعَرْ، لا يَمسُّها القَطْر، أو بقاءِ سبعة أنسر، كلَّما هلك نَسر، خلف بعده نَسر، فاختار النُّسور، وكان آخر نُسوره يُسمَّى لُبَداً، وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أَضحت خَلاءً وأمسى أهلُها احتملوا ... أَخْنَى عليها الذي أَخْنَى على لُبَدِ

واللَّبِيد: الجُوَالق الصغير، يقال: ألبدت القِرْبة، جعلتها في لَبِيد. ولبِيد: اسم شاعر من بني عامر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أي قال ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وكذا قرأ أكثر القرَاء: «قَالَ»؛ على الخبر. وقرأ حمزة وعاصم: «قُلْ»؛ على الأمر[٢].

وسبب نزولها أنَّ كفار قريش قالوا له: إنكَ جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلَّهم، فارجع عن هذا فنحن نجيرك، فنزلت[٣].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لاأقدر أن أدفع عنكم ضَرًّا ولا أسوق لكم خيراً[٤].

وقيل: « لا أملِك لكم ضَرًّا» أي: كفراً، «ولا رَشَداً» أي: هدًى، أي: إنما عليَّ التبليغ. وقيل: الضَّرّ: العذاب، والرَّشَد: النعيم. وهو الأوَّل بعينه. وقيل: الضَّرّ: الموت، والرَّشَد: الحياة[٥].

---

(١) في النسخ الخطبة: بقرات، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في الصحاح (لبد)، والكلام منه. قال شارح القاموس (لبد): هكذا في نسختنا بالعين، ويوجد في بعض نسخ الصحاح: بقرات، بالقاف. . قال شيخنا: والذي في نسخ القاموس هو الأشبه ، إذ لاتتولد البقر من الظباء، ولا تكون منها.

(٢) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسيرص٢١٥.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٠٥ عن مقاتل.

(٤) الوسيط ٤/ ٣٦٨ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٢٠-١٢١ .

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لايدفع عذابه عني أحدٌ إن استحققتُه[١]، وهذا لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك.

وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال: انطلقت مع النبي ﷺ ليلةَ الجنِّ، حتى أتى الحَجُون فخطَّ عليَّ خطًّا، ثم تقدَّم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيِّدٌ لهم يقال له وَرْدان: أنا أَزْجُلهم عنك، فقال: «إنِّي لن يجيرني من الله أحد» ذكره الماوردي[٢]، قال: ويحتمل معنيين: أحدهما: لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد. الثاني: لن يجيرني ممَّا قدَّره اللهُ تعالى عليَّ أحد.

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأً ألجأ إليه، قاله قتادة[٣]. وعنه: نصيراً ومولىً. السُّدِّيّ: حِرزاً. الكلبي: مَدْخلاً في الأرض مثل السَّرَب[٤]. وقيل: وليًّا ولا مولىً. وقيل: مذهباً ولا مسلكاً. حكاه ابن شجرة[٥]، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر:

يالَهْفَ نفسي ولَهْفي غيرُ مجدِيةٍ عنِّي وما مِن قضاء اللهِ مُلْتَحدُ[٦]

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فإنَّ فيه الأمان والنَّجاة، قاله الحسن. وقال قتادة:

---

(١) في(د)و(ز) و(م): استحفظته، والمثبت من(ظ).

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٢١. قوله: أزجلهم، أي: أدفعهم. القاموس(زجل).

(٣) أخرج قوله الطبري ٢٣/٣٤٩ .

(٤) تفسير البغوي ٤/٤٠٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/١٢١ .

(٦) النكت والعيون ٦/١٢١ دون نسبة، وهو في الدر المنثور ٤/٢١٨ منسوباً لخصيب الضمري.

«إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللهِ» فذلك الذي أملكه بتوفيق الله[١]، فأما الكفرُ والإيمان فلا أملكهما. فعلى هذا يكون مردوداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا أملك لكم إِلَّا أن أُبلِّغكم.

وقيل: هو استثناء منقطع من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إِلَّا[٢] أن أبلغكم، أي: لكنْ أبلِّغُكم ما أُرسلتُ به، قاله الفرَّاء[٣].

وقال الزجَّاج[٤]: هو منصوب على البدل من قوله: «مُلْتَحَداً»، أي: «ولن أجِدَ مِن دونه مُلْتَحداً» إِلَّا أن أُبلِّغَ ما يأتيني من الله ورسالاته، أي: ومن رسالاته التي أمرني بتبليغها. أو: إِلَّا أن أبلغ عن الله وأعملَ برسالته، فآخذ نفسي بما آمرُ به غيري.

وقيل: هو مصدر، و«لا» بمعنى لم، و«إنْ» للشرط. والمعنى: لن أجد من دونه ملتحداً[٥] إنْ لم أبلِّغ رسالاتِ ربِّي بلاغاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التوحيد والعبادة. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ كُسِرت «إنَّ» لأن ما بعد فاء الجزاء موضعُ ابتداء، وقد تقدَّم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ نصب على الحال، وجَمَعَ «خَالِدِينَ»؛ لأنَّ المعنى: لكلِّ مَن فعل ذلك، فوحَّد أوَّلاً للفظ «مَن»، ثم جَمَعَ للمعنى[٦].

وقوله ﴿أَبَدًا﴾ دليلٌ على أنَّ العصيان هنا هو الشِّرك[٧]. وقيل: هو المعاصي غيرَ الشرك، ويكون معنى «خالدين فيها أبَداً» إِلَّا أن أعفوَ أو تلحَقهم شفاعة، ولا محالة

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٠، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٢) في (ظ) و(م): أي إلا.

(٣) معاني القرآن له ٣/ ٢٥ بنحوه، وقاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٧.

(٥) بعدها في (د) و(ز) و(م): أي. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٦٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٧٢ بنحوه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ بنحوه.

إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو. وقد مضى هذا المعنى مبيَّناً في سورة النساءِ وغيرها[١].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ «حَتَّى» هنا مبتدأ، أي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، أو ما يوعدون[٢] من عذاب الدنيا، وهو القتل ببدر[٣] ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرًا﴾ أهم أم المؤمنون. ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ معطوف.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ يعني قيام الساعة. وقيل: عذاب الدنيا، أي: لا أدري، فـ«إنْ» بمعنى «ما» أو «لا»؛ أي: لا يَعرف وقتَ نزول العذاب ووقتَ قيام الساعة إلَّا الله؛ فهو غيبٌ لا أعلم منه إلَّا ما يعرِّفنيه الله. و«ما» في قوله: «ما يوعدون» يجوز أن يكون مع الفعل مصدراً، ويجوز أن يكون بمعنى الذي، ويقدَّر حرفُ[٤] العائد.

﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ أي: غايةً وأجلاً. وقرأ العامَّة بإسكان الياء مِن «ربِّي» وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عمرو بالفتح[٥].

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ «عَالِمُ» رفعاً؛ نعتاً لقوله: «رَبِّي». وقيل: أي: هو «عالِمُ الغيب»[٦]. والغيب: ما غاب عن العباد. وقد تقدَّم بيانه في أوَّل سورة البقرة[٧].

---

(١) ٧/ ٣٩ فما بعد.
(٢) في (ظ): وما يوعدون.
(٣) الكشاف ٤/ ١٧٢.
(٤) في النسخ الخطية: حذف. والكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن٢/ ٧٦٥-٧٦٦ .
(٥) السبعة ص٦٥٧ ، والتيسير ص٢١٥ ، والحِرْمِيَّان: نافع المدني، وابن كثير المكي.
(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٠٥-٤٠٦ .
(٧) ١/ ٢٥١-٢٥٢ .

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يُظهره على ما يشاء من غيبه؛ لأنَّ الرسل مؤيَّدون بالمعجزات، ومنها الإخبارُ عن بعض الغائبات؛ وفي التنزيل: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال ابن جبيرٌ: «إلَّا مَن ارتضى مِن رسول»: هو جبريل عليه السلام[١]. وفيه بُعد، والأَوْلَى أن يكون المعنى: أي: لا يُظهر على غيبه إلَّا مَن ارتضى، أي: اصطفى للنبوَّة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه؛ ليكون ذلك دالًّا على نبوَّته[٢].

الثانية: قال العلماء رحمة الله عليهم: لمَّا تمدَّح سبحانه بعلم الغيبِ واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليلٌ على أنه لا يعلم الغيبَ أحدٌ سواه، ثم استثنى مَن ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزةً لهم ودلالةً صادقةً على نبوَّتهم. وليس المنجِّم ومَن ضاهاه ـ ممن يضرِب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير ـ ممَّن ارتضاه من رسول فيطلعَه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافرٌ بالله مفترٍ عليه؛ بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شِعري ما يقول المنجِّم في سفينة ركب فيها ألفُ إنسان، على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملِك والسُّوقة، والعالم والجاهل، والغنيُّ والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم، وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم؛ فعمَّهم حكمُ الغَرَق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجِّم قبَّحه الله: إنما أغرقهم الطالعُ الذي ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك أنَّ هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلِّها ـ على اختلافها ـ عند ولادة كلِّ واحدٍ منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوصُ به، فلا فائدة إذاً[٣] في عمل المواليد، ولا دلالة فيها على شقيٍّ ولا سعيد، ولم يبقَ إلَّا معاندةُ القرآن العظيم. وفيه استحلالُ دمه على هذا التنجيم. ولقد أحسن الشاعرُ حيث قال:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٢٢ .

(٢) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٦٩ .

(٣) في (د) و(م): أبداً.

حَكَمَ المنجِّمُ أنَّ طالعَ مولدي ... يقضي عليَّ بميتة الغَرَقِ

قل للمُنجِّم صُبْحَةَ الطُّوفانِ هل ... وُلد الجميعُ بكوكب الغَرَقِ

وقيل لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ﷺ لمَّا أراد لقاءَ الخوارج: أتلقاهم والقمرُ في العقرب؟ فقال ﷺ: فأين قمرُهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمةِ التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الردِّ على مَن يقول بالتنجيم، والإفحامِ لكل جاهلٍ يحقِّق أحكامَ النجوم.

وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين! لا تَسر في هذه الساعة، وسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له عليٌّ ﷺ: ولم؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة؛ أصابك وأصاب أصحابَك بلاءٌ وضرٌّ شديد، وإن سرت في الساعة التي آمُرُك بها؛ ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال عليٌّ ﷺ: ما كان لمحمد ﷺ مُنَجِّم، ولا لنا من بعده ـ في كلام طويل يَحتجُّ فيه بآيات من التنزيل ـ فمَن صدَّقك في هذا القول، لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نِدًّا أو ضدًّا، اللهم لا طير إلَّا طيرُك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك[1]. ثم قال للمتكلِّم: نكذِّبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس، إياكم وتعلُّمَ النجوم، إلَّا ما تهتدون به في ظلمات البرّ والبحر؛ إنما المنجِّم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها، لَأُخلدنَّك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ، ولأحرمنَّك العطاء ما كان لي سلطان. ثم سار[2] في الساعة التي نهاه عنها، فلقي القومَ فقتلهم، وهي وقعة النَّهْرَوَان الثابتةُ في الصحيح لمسلم[3]. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرنا وظهرنا، لقال

---

(١) قوله: ولا إله غيرك، من (ظ) ومصدر التخريج.

(٢) في (د) و(ز) و(م): سافر.

(٣) برقم (١٠٦٤): (١٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، و(١٠٦٦): (١٥٦) من حديث زيد بن وهب الجهني ﷺ. وهو عند أحمد (٧٠٦).

قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجِّم، ما كان لمحمد ﷺ منجِّم، ولا لنا مِن بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائرَ البلدان. ثم قال: يا أيها الناس! توكَّلوا على الله وثِقوا به، فإنه يكفي ممَّن سواه[1].

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ يعني ملائكة يحفظونه عن أن يَقْرُبَ منه شيطان؛ فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة. قال الضحَّاك: ما بعث الله نبيًّا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبَّهوا بصورة المَلَك، فإذا جاءه شيطان في صورة المَلَك، قالوا: هذا شيطان فاحذره. وإن جاءه المَلَك، قالوا: هذا رسول ربِّك[2].

وقال ابن عباس وابن زيد: «رَصَداً» أي: حَفَظة يحفظون النبيَّ ﷺ من أمامه ووارئه من الجنِّ والشياطين[3]. قال قتادة وسعيد بن المسيّب: هم أربعةٌ من الملائكة حفظة[4].

وقال الفراء[5]: المراد جبريل؛ كان إذا نزل بالرسالة، نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجنُّ الوحي، فيلقوه إلى كهنتهم فيسبقوا به الرسول.

وقال السُّدِّي: «رَصَداً» أي: حفظة يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا: إنه من عند الله، وما ألقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان[6].

و«رَصَداً» نصب على المفعول. وفي الصحاح: والرَّصَد القوم يرصُدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر[7] والمؤنث، وربما قالوا: أرصاد.

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده (٥٦٤ ـ بغية الباحث).

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٣ مختصراً، وينظر النكت والعيون ٦/ ١٢٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٠٦ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٢ ، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤ .

(٤) قول قتادة في النكت والعيون ٦/ ١٢٢ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٩٦ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٠ .

(٧) قوله: والمذكر، من (د) و(م).

والراصد للشيء: الراقب[1] له؛ يقال: رَصَده يَرْصُده رَصْداً ورَصَداً. والتَّرصُّد: التَّرقُّب، والمَرْصَد: موضع الرصد.

قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ قال قتادة ومقاتل: أي: ليعلم محمدٌ أنَّ الرسل قبله قد بلَّغوا الرسالة كما بلَّغ هو الرسالة[2]. وفيه حذفٌ يتعلَّق به اللام؛ أي: أخبرناه بحفظنا الوحي، ليعلم أنَّ الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحقِّ والصدق.

وقيل: ليعلم محمدٌ أن قد أبلغ جبريل ومَن معه إليه رسالةَ ربِّه؛ قاله ابن جبير. قال: ولم ينزل الوحي إلَّا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام[3].

وقيل: ليعلم الرسل أنَّ الملائكة بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم.

وقيل: ليعلم الرسول ـ أيّ رسول كان ـ أنَّ الرسل سواه بلَّغوا.

وقيل: أي: ليعلم إبليس أنَّ الرسل قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم سليمةً من تخليطه واستراقِ أصحابه.

وقال ابن قتيبة: أي: ليعلم الجِنُّ أنَّ الرسل قد بلَّغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلِّغين باستراق السمع عليهم[4].

وقال مجاهد: ليعلم من كذَّب الرسل أنَّ المرسلين قد بلَّغوا رسالاتِ ربِّهم[5].

وقراءة الجماعة: «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء، وتأويله ما ذكرناه. وقرأ ابن عباس ومجاهد

---

(١) في الصحاح (رصد): المراقب.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٤-٣٥٥ عن قتادة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥-٣٥٦ بنحوه.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٢٣ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٥ .

وحُميد ويعقوب بضمِّ الياء[١]، أي: ليُعْلَم الناس أنَّ الرسل قد أبلغوا.

وقال الزجَّاج[٢]: أي: ليَعلم اللهُ أنَّ رسله قد أبلغوا رسالاته، بفتح الياء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [التوبة:١٦]. المعنى: ليعلم اللهُ ذلك علمَ مشاهدةٍ كما علمه غيباً.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط علمُه بما عندهم، أي: بما عند الرسل وما عند الملائكة. وقال ابن جبير: المعنى: ليعلم الرسل أنَّ ربَّهم قد أحاط علمُه بما لديهم، فيبلِّغوا رسالاتِه[٣].

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا﴾ أي: أحاط بعدد كلِّ شيءٍ، وعرفَه وعلمَه، فلم يخفَ عليه منه شيء. و«عَدَداً» نصب على الحال، أي: أحصى كلَّ شيءٍ في حال العدد، وإن شئتَ على المصدر، أي: أحصى[٤] وعدَّ كلَّ شيءٍ عدداً، فيكون مصدرَ الفعل المحذوف، فهو سبحانه المحصي المحيط؛ العالم الحافظ لكل شيء وقد بيَّنَّا جميعَه في «الكتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى»[٥]. والحمد لله وحدَه.

---

(١) قراءة يعقوب من رواية رويس عنه. النشر ٢/ ٣٩٢ . وذكرها عن ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ .

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٣٨ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٥٦ .

(٤) بعدها في (ظ): كل شيء.

(٥) ص٢٥٥ ، ٢٦٧ .

تفسير سورة الجن

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) ﴾ .

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يخبر قومه : أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له ، فقال تعالى : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾ أى : إلى السداد والنجاح ، ﴿ **فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ** ﴾ [الأحقاف:٢٩] . وقد قدمنا الأحاديث الواردة فى ذلك بما أغنى عن إعادتها هاهنا .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا** ﴾ : قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **جَدُّ رَبِّنَا** ﴾ أى : فعلُه وأمره وقدرته .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : جد الله : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه .

وروى عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالى جلاله وعظمته وأمره . وقال السدى : تعالى أمر ربنا . وعن أبى الدرداء ، ومجاهد أيضا وابن جريج : تعالى ذكره . وقال سعيد ابن جبير : ﴿ **تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا** ﴾ أى : تعالى ربنا .

فأما ما رواه ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ [١] ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد: أب. ولو علمت الجن أن فى الإنس جدا ما قالوا : تعالى جَدَ ربنا .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ؛ ولعله قد سقط شىء ، والله أعلم.

وقوله : ﴿ **مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا** ﴾ أى : تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد ، أى : قالت

(١) فى م : « عبد الله بن سويد الكوفى » .

الجن : تنزه الرب تعالى جلاله وعظمته ، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

ثم قالوا : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** ﴾، قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسُّدِّى: ﴿ **سَفِيهُنَا** ﴾ يعنون : إبليس، ﴿ **شَطَطًا** ﴾، قال السُّدِّى ، عن أبى مالك : ﴿ **شَطَطًا** ﴾ أى : جورا . وقال ابن زيد : ظلما كبيرا .

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم : ﴿ **سَفِيهُنَا** ﴾ : اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا. ولهذا قالوا : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا** ﴾ أى : قبل إسلامه ﴿ **عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** ﴾ أى: باطلا وزورا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾ أى :ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون على الكذب على الله فى نسبة الصاحبة والولد إليه . فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ أى : كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس ؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أى : إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البرارى وغيرها كما كان عادة العرب فى جاهليتها . يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان ، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون [١] بهم من خوفهم منهم ،﴿ **زَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ أى : خوفا وإرهابا وذعرا ، حتى تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم ، كما قال قتادة : ﴿ **فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ أى : إثما ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة .

وقال الثورى ، عن منصور عن إبراهيم : ﴿ **فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ أى : ازدادت الجن عليهم جراءة .

وقال السدى : كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضَرّ أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتى ، قال : فإذا عاذ بهم من دون الله ، رَهقَتهم الجن الأذى عند ذلك .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان ،حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى، حدثنا الزبير بن الخرِّيت ، عن عِكْرِمة قال : كان الجن يَفْرَقُون من الإنس كما يفَرق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : نعوذ بسيد أهل هذا الوادى . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخَبَل والجنون ، فذلك قول الله : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : ﴿ **رَهَقًا** ﴾ أى : خوفا . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ **فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ أى : إثما . وكذا قال قتادة . وقال مجاهد : زاد الكفار طغيانا .

---

(١) فى م : « سيعوذون » .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا فروة بن أبى المغراء الكندى ، حدثنا القاسم بن مالك ــ يعنى المزنى ــ عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كَردم بن أبى السائب الأنصارى قال : خرجت مع أبى من المدينة فى حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة ، فآوانا المبيت إلى راعى غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حَمَلا من الغنم ، فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى ، جارك . فنادى مناد لا نراه ، يقول : يا سرْحان ، أرسله . فأتى الحملَ يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ .

ثم قال : ورُوى عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبى العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النَّخَعى ، نحوه .

وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل ــ وهو ولد الشاة ــ كان جنّيا حتى يُرهب الإنسى ويخاف منه ، ثم ردَّه عليه لما استجار به ، ليضله ويهينه ، ويخرجه عن دينه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا** ﴾ أى : لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا . قاله الكلبى ، وابن جرير .

﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)** ﴾ .

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وكان من حفظه له أن السماء مُلئَت حرسا شديداً ، وحفظت من سائر أرجائها ، وطردت الشياطين عن مقاعدها التى كانت تقعد فيها قبل ذلك ؛ لئلا يسرقوا شيئا من القرآن . فيلقوه على ألسنة الكهنة ، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق . وهذا [1] من لطف الله بخلقه[2] ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قالت الجن : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ أى : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له ، لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يمحقه ويهلكه ، ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ أى : ما ندرى هذا الأمر الذى قد حدث فى السماء ، لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدا ؟ وهذا من أدبهم فى العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل ، والخير أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد فى الصحيح : « والشر ليس إليك » . وقد كانت الكواكب يُرمَى بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل فى الأحيان بعد الأحيان ، كما فى حديث ابن عباس [3] : بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم فاستنار ،فقال : « ما كنتم تقولون

(١) فى م : « فكان هذا » . (٢) فى م : « عليه » . (٣) فى م : « كما فى حديث العباس » .

فى هذا ؟ » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر فى السماء » ،وذكر تمام الحديث ، وقد أوردناه فى سورة « سبأ » بتمامه [١]. وهذا هو السبب الذى حَمَلهم على تطلب السبب فى ذلك ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه فى الصلاة ، فعرفوا أن هذا هو الذى حُفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم ، وتمرد فى طغيانه من بقى ، كما تقدم حديث ابن عباس فى ذلك، عند قوله فى سورة «الأحقاف » : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية[الأحقاف:٢٩] .
ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ،وهو كثرة الشهب فى السماء والرمى بها ، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخراب العالم ــ كما قال السدى: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون فى الأرض نبى أو دين لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد فى السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر . فلما بعث الله محمداً نبيا ، رُجموا ليلة من الليالى ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ، لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب . فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو ابن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف . أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلى معالم النجوم ،فإن رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبى كبشة ــ يعنى: محمداً ﷺ ــ وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وفزعت الشياطين فى تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذى كان من أمرهم ، فقال : ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب أشمها. فأتوه فَشَم فقال : صاحبكم بمكة .فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقدموا مكة فوجدوا رسول الله [٢] ﷺ قائما يصلى فى المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كَلاكلَهم تصيبه ، ثم أسلموا . فأنزل الله تعالى أمرهم على نبيه ﷺ ،وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى فى أول البعث من (كتاب السيرة) المطول ، والله أعلم ، ولله الحمد والمنة .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) ﴾ .

يقول مخبرا عن الجن : إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أى : غير ذلك، ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة .

---

(١) عند تفسير الآية :٢٣ .
(٢) فى م : « نبى الله » .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى : منا المؤمن ،ومنا الكافر .

وقال أحمد بن سليمان النَّجاد فى أماليه ، حدثنا أسلم بن سَهل بَحْشَلُ ، حدثنا على بن الحسن ابن سليمان ــ وهو أبو الشعثاء الحضرمى ، شيخ مسلم ــ حدثنا أبو معاوية [١] قال : سمعتُ الأعمش يقول : تروح إلينا جنى ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال الأرز . قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا .فقلت : فيكم من هذه الأهواء التى فينا ؟ قال : نعم. قلت : فما الرافضة فيكم [٢] ؟ قال [٣] : شرنا .عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبى الحجاج المِزِّى فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش .

وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة العباس بن أحمد الدمشقى قال[٤] : سمعتُ بعض الجَنّ وأنا فى منزلى بالليل ينشد :

قُلوبٌ بَرَاها الحبّ حَتى تعلَّقت ... مَذَاهبُها فى كُلّ غَرب وشَارقِ

تَهيم بحب الله ، واللهُ رَبُّـها ... مُعَلَّقَةٌ بالله دُونَ الخَلائقِ [٥]

وقوله : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ أى : نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه فى الأرض ،ولو أمعنا فى الهرب، فإنه علينا قادر [٦] ، لا يعجزه أحد منا .

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾: يفتخرون بذلك ،وهو مفخر [٧]لهم،وشرف رفيع،وصفة حسنة.

وقولهم : ﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما : فلا يخاف أن يُنقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته ، كما قال تعالى : ﴿ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢] .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُون ﴾ أى : منا المسلم ومنا القاسط ، وهو : الجائر عن الحق الناكب عنه ، بخلاف المقسط فإنه العادل ، ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ أى : طلبوا لأنفسهم النجاة ، ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أى : وقوداً تُسعر بهم .

وقوله : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ ، اختلف المفسرون فى معنى هذا على قولين :

أحدهما : وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ، ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أى : كثيراً . والمراد بذلك سعَة الرزق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة:٦٦] ، وكقوله :

(١) فى أ : « أبو عوانة » . (٢) فى أ :« منكم » . (٣) فى م :« قالوا » .

(٤) فى م : « أنه قال » .

(٥) تاريخ دمشق (٨/ ٨٨٧ « المخطوط ») .

(٦) فى م :« فإنه قادر علينا » . (٧) فى أ : « وهو مفتخر » .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦] . وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أى : لنختبرهم ، كما قال مالك ، عن زيد بن أسلم: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لنبتليهم ، من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية ؟ .

ذكر من قال بهذا القول : قال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ يعنى بالاستقامة : الطاعة . وقال مجاهد : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ قال : الإسلام . وكذا قال سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدى ، ومحمد بن كعب القرظى .

وقال قتادة : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ يقول : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا .

وقال مجاهد : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ أى : طريقة الحق . وكذا قال الضحاك ، واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله : ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أى : لنبتليهم به .

وقال مقاتل : فنزلت فى كفار قريش حين مُنعوا المطر سبع سنين .

والقول الثانى : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ : الضلالة ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أى : لأوسعنا عليهم فى الرزق استدراجا ، كما قال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] ، وكقوله : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥ ، ٥٦] ،وهذا قول أبى مِجلز لاحق بن حُمَيد؛ فإنه فى قوله : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ أى : طريقة الضلالة . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وحكاه البغوى عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبى ، وابن كيسان . وله اتجاه ،ويتأيد بقوله : ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أى : عذاباً شاقاً شديداً موجعاً مؤلما .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أى : مشقة لا راحة معها .

وعن ابن عباس : جبل فى جهنم . وعن سعيد بن جبير : بئر فيها .

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا

يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) ﴾ .

يقول تعالى آمراً عباده أن يُوَحِّدوه في مجال عبادته ، ولا يُدْعى معه أحد ولا يشرك به [١] ، كما قال قتادة في قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ . قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعِهِم ، أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر على بن الحسين : حدثنا إسماعيل ابن بنت السدى ، أخبرنا رجل سماه ، عن السدى ، عن أبي مالك ــ أو أبي صالح ــ عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إيليا : بيت المقدس .

وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول الله ، ائذن لنا نشهد معك الصلوات في مسجدك . فأنزل الله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ يقول : صلوا ، لا تخالطوا الناس .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهْران ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن محمود ، عن سعيد بن جبير ، : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ﴾ قال : قالت الجن لنبي الله [٢] ﷺ : كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون [عنك] [٣] ؟ ، وكيف نشهد الصلاة نحن ناؤون عنك ؟ فنزلت: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [٤] .

وقال سفيان ، عن خُصَيْف ، عن عكرمة : نزلت في المساجد كلها .

وقال سعيد بن جبير . نزلت في أعضاء السجود ، أي : هي لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح ، من رواية عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ :« أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة ــ أشار [٥] بيديه إلى أنفه ــ واليدين والركبتين وأطراف القدمين » [٦] .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ ، قال العَوفى ، عن ابن عباس يقول : لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه ؛ من الحرص ، لما سمعوه يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ** ﴾ ، يستمعون القرآن .

هذا قول ، وهو مروى عن الزبير بن العوام ، رضي الله عنه .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن مَعْمَر ، حدثنا أبو مسلم ، عن أبي عَوَانة ، عن أبي بشر ،

---

(١) في م : « ولا يشرك به أحداً » . (٢) في م: « قالت الجن للنبي » . (٣) زيادة من م .
(٤) تفسير الطبري (٢٩/٧٣) .
(٥) في م :« وأشار » .
(٦) رواه البخاري في صحيحه برقم (٨١٢) ، صحيح مسلم برقم (٤٩٠) .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ ، قال : لما رأوه يصلى وأصحابه، يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قالوا : عجبوا من طواعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم : ﴿ **لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ .

وهذا قول ثان ، وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا .

وقال الحسن : لما قام رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله » ، ويدعو الناس إلى ربهم ، كادت العرب تَلبُد عليه جميعاً .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ قال :تَلَبَّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويُمضيه (١) ويظهره على من ناوأه .

وهذا قول ثالث ، وهو مَرويّ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقول ابن زيد ، واختيار ابن جرير ، وهو الأظهر لقوله بعده : ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** ﴾ أى : قال لهم الرسول ــ لما آذوه (٢) وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ، ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته : ﴿ **إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى** ﴾ أى : إنما أعبد ربى وحده لا شريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه، ﴿**وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا**﴾ .

وقوله : ﴿ **قُلْ إِنِّى لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا** ﴾ أى : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ، وعبد من عباد الله ليس إلىّ من الأمر شىء فى هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع فى ذلك كله إلى الله عز وجل .

ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد ، أى : لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذى من عذابه ، ﴿ **وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾ ، قال مجاهد ، وقتادة ، والسدى : لا ملجأ . وقال قتادة أيضا : ﴿ **قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحد وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾ أى : لا نصير ولا ملجأ . وفى رواية : لا ولىّ ولا مَوئلَ .

وقوله تعالى : ﴿ **إِلا بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ** ﴾ : قال بعضهم : هو مستثنى من قوله : ﴿ **لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا** ﴾ ،﴿ **إِلا بَلاغًا**﴾ ، ويحتمل أن يكون استثناء من قوله :﴿**لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحد** ﴾ أى: لا يجيرنى منه ويخلصنى إلا إبلاغى الرسالة التى أوجب أداءها علىّ ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن (٣) لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[المائدة: ٦٧].

وقوله: ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ أى: إنما أبلغكم رسالة الله، فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج

(١) فى م :« ويعينه » . (٢) فى م : « لما نادوه » . (٣) فى م :« فإن » وهو خطأ .

لهم منها .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ أى : حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصراً وأقل عدداً ، هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل ، أى : بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل .

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾ .

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة ، ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد ؟ ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا ﴾ ؟ أى : مدة طويلة .

وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه السلام ، لا يؤلف تحت الأرض ، كذب لا أصل له ، ولم نره فى شىء من الكتب . وقد كان ﷺ يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ، ولما تَبدَّى له جبريل فى صورة أعرابى كان فيما سأله أن قال: يا محمد، فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » [(١)]. ولما ناداه ذلك الأعرابى بصوت جَهْورىّ فقال : يا محمد ، متى الساعة ؟ قال : « ويحك . إنها كائنة ، فما أعددت لها ؟ » . قال : أما إنى لم أعد لها كثير [(٢)] صلاة ولا صيام ، ولكنى أحب الله ورسوله . قال : «فأنت مع من أحببت » . قال أنس : فَمَا فرح المسلمون بشىء فرحهم بهذا الحديث [(٣)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن مُصَفَّى ، حدثنا محمد بن حمير [(٤)] ، حدثنى أبو بكر بن أبى مريم ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى سعيد الخُدرى ، عن النبى ﷺ قال: « يا بنى آدم ، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده ، إنما توعدون لآت » [(٥)] .

وقد قال أبو داود فى آخر « كتاب الملاحم » : حدثنا موسى بن سهيل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جُبَير ، عن أبيه ، عن أبى ثَعلبة الخُشنى قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » [(٦)] .

---

(١) هو جزء من حديث جبريل الطويل ، رواه مسلم فى صحيحه برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) فى م : « كبير » .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٦٣٩) من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٤) فى أ : « محمد بن جبير » .

(٥) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (١٠٥٦٤) من طريق الحسن بن سفيان ، عن محمد بن المصفى ، به.

(٦) سنن أبى داود برقم (٤٣٤٩) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٤٢٤) من طريق ابن وهب ، به . وقال الحاكم :« صحيح على شرطهما ولم يخرجاه » .

انفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود :

حدثنا عمرو بن عثمان . حدثنا أبو المغيرة ، حدثنى صفوان ، عن شُرَيح بن عبيد ، عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه قال : « إنى لأرجو ألا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود [١] .

وقوله : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ ،هذه كقوله تعالى : ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ** ﴾ [البقرة:٢٥٥] . وهكذا قال هاهنا : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شىء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ؛ ولهذا قال : ﴿ **فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ ، وهذا يعم الرسول الملكى والبشرى .

ثم قال : ﴿ **فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ أى : يَخْتَصّه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ، ويساوقونه على ما معه من وحى الله ؛ ولهذا قال : ﴿ **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ .

وقد اختلف المفسرون فى الضمير الذى فى قوله : ﴿ **لِيَعْلَمَ** ﴾ ، إلى من يعود ؟ فقيل : إنه عائد على النبى ﷺ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّى [٢]، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ، ﴿ **لِيَعْلَمَ** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ .

ورواه ابن أبى حاتم من حديث يعقوب القمى [٣] ، به . وهكذا رواه الضحاك ، والسدى ، ويزيد بن أبى حبيب .

وقال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة : ﴿ **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ** ﴾ ، قال : ليعلم نبى الله أن الرسل قد بلغت عن الله ، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها . وكذا رواه سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير .

وقيل غير ذلك ، كما رواه العَوفى عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ ، قال : هى معقبات من الملائكة يحفظون النبى من الشيطان ، حتى يتبين الذى أرسل به إليهم ، وذلك حين يقول ، ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وكذا قال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ** ﴾ قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفى هذا نظر .

---

(١) سنن أبى داود برقم (٤٣٥٠) ، وشريح بن عبيد لم يدرك سعد بن أبى وقاص ، فهو منقطع .

(٢، ٣) فى أ : « العمى » .

وقال البغوى : قرأ يعقوب : « ليُعلَم » بالضم ، أى : ليعلم الناس أن الرسل بُلّغوا .

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل ، وهو قول حكاه ابن الجوزى فى « زاد المسير» [(١)] . ويكون المعنى فى ذلك : أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما بُيِّن إليهم من الوحى ؛ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ** ﴾ [البقرة:١٤٣] ، وكقوله : ﴿ **وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ** ﴾ [العنكبوت:١١]، إلى أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ؛ولهذا قال بعد هذا :﴿ **وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ .

---

(١) زاد المسير (٨/ ٣٨٦) .

٧٢ – سورة الجن
(مكية وهى ثمان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ٧٢ الجن

يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ٧٢ الجن

ولوالدى) أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرىء ولولدى
* يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتى) أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (مؤمناً) بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلاة والسلام بخروجه إلا بعد ماقيل له إنه ليس من أهلك
* وقد مر تفصيله فى سورة هود (وللمؤمنين والمؤمنات) عمهم بالدعاء إثر ماخص به من يتصل به نسباً
* وديناً (ولا تزد الظالمين إلا تباراً) أى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لاعلى وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بإراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكا واحداً ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أوسبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين غرقوا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام .

﴿سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أوحى إلى) وقرىء أحى إلى أصله وحى وقد قرىء كذلك من
* وحى إليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وأزن فى وعد ووزن (أنه) بالفتح لأنه فاعل أوحى
* والضمير للشأن (استمع) أى القرآن كما ذكر فى الأحقاف وقد حذف لدلالة مابعده عليه (نفر من الجن) النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل هى النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوه فأخبر الله
* تعالى بذلك وقد مر مافيه من التفصيل فى الأحقاف (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم إليهم (إنا سمعنا
* قرآناً) كتاباً مقروءاً (عجباً) بديعاً مبايناً لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف
٢ به للمبالغة (يهدى إلى الرشد) إلى الحق والصواب (فآمنا به) أى بذلك القرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) حسبما نطق به مافيه من دلائل التوحيد .

وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ٧٢ الجن

وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ٧٢ الجن

وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ٧٢ الجن

وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ ٧٢ الجن

---

٣ (وأنه تعالى جد ربنا) بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن فى أحد عشر موضعاً عطف على محل الجار والمجرور فى فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أى ارتفع عظمته من جد فلان فى عينى أى عظم تمكنه أو سلطانه أو غناء على أنه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقرىء بالكسر وكذا الجمل المذكور عطفاً على المحكى بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج الجمل الآتية تحت الإيمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه إشكال كما ستحيط به خبراً وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) بيان لحكم تعالى جده وقرىء جداً ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقدوه كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه (وأنه كان يقول سفيهنا) أى إبليس أو مردة الجن (على الله ٤ شططاً) أى قولا شطط أى بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى وتعلق الإيمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فإنهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل أيضاً بل باعتبار كونه شططاً كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيهنا فى حقه تعالى كان شططاً وأما تعلقهما بقوله تعالى (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً) ٥ فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أى كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لأنه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أى قولا كذباً أى مكذوباً فيه وقرىء لن تقول بحذف إحدى التاءين فكذبا مصدر مؤكد له لأن الكذب هو التقول (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) كان الرجل من العرب إذا أمسى ٦ فى واد قفر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الإنس والجن وذلك قوله تعالى (فزادوهم) أى زاد الرجال العائذون ٭ الجن (رهقاً) أى تكبرا وعتوا أو فزاد الجن العائذين غيا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم (وأنهم ٧

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾	٧٢ الجن
وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾	٧٢ الجن
وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾	٧٢ الجن
وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾	٧٢ الجن

* ظنوا) أى الإنس (كما ظننتم) أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض (أن لن يبعث الله أحدا) وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنهما كذلك على كل تقدير عطفاً على أنه استمع إذ لامعنى لإدراجهما تحت ماذكر من الإيمان
٨ والتصديق وكذا قوله تعالى (وأنا لمسنا السماء) ومابعده من الجمل المصدرة بأنا ينبغى أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى إلى كيت وكيت وهذه العبارات أى طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه
* وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرساً) أى حراساً اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك
* قيل (شديدا) قوياً وهم الملائكة يمنعونهم عنها (وشهباً) جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار
٩ الكواكب (وأنا كنا نقعد) قبل هذا (منها) من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد أى لأجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد كائنة
* للسمع (فمن يستمع الآن) فى مقعد من المقاعد (يجد له شهاباً رصدا) أى شهاباً راصدا له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبى عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضاً لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلا فقالوا ماهذا إلا لأمر أراده
١٠ الله تعالى بأهل الأرض وذلك قولهم (وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض) بحراسة السماء (أم أراد بهم ربهم رشدا) أى خيرا ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية
١١ كما فى قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره (وأنا منا الصالحون) أى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا
* إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لافى الإيمان والتقوى كما توهم فإن هذا بيان لحالهم
* قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كنا طرائق قددا) وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى ـ إلى قوله تعالى ـ وأنا منا المسلمون أى كنا قبل هذا ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق قددا أى متفرقة مختلفة

وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾	٧٢ الجن
وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾	٧٢ الجن
وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾	٧٢ الجن
وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾	٧٢ الجن
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾	٧٢ الجن
لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾	٧٢ الجن

١٢ جمع قدة من قد كالقطعة من قطع (وأنا ظننا) أى علمنا الآن (أن لن نعجز الله) أى الشأن لن نعجز الله كائنين (فى الأرض) أينما كنا من أقطارها (ولن نعجزه هرباً) هاربين منها إلى السماء أولن نعجزه * فى الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن الذى ١٣ هو الهدى بعينه (آمنا به) من غير تلعثم وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما أنزله (فلا يخاف) فهو لايخاف * (بخساً) أى نقصاً فى الجزاء (ولا رهقاً) ولاأن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق إذا لم يبخس أحداً * حقاً ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجتنب المظالم وقرىء فلا يخف والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (وأنا منا المسلمون ومنا ١٤ القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الإيمان والطاعة (فمن أسلم فأولئك) إشارة إلى من * أسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) توخوا (رشدا) عظيما يبلغهم إلى دار الثواب (وأما القاسطون) ١٥ الجائرون عن سنن الإسلام (فكانوا لجهنم حطباً) توقدبهم كما توقد بكفرة الإنس (وأن لواستقاموا) ١٦ أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعاً على أنه استمع والمعنى وأوحى إلى أن الشأن لو استقام الجن والإنس أو كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا عليهم الرزق * وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده فى الإسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا رزقهم (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا ١٧ باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة (ومن * يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله (عذاباً صعدا) أى * شاقاً صعباً يعلو المعذب ويغلبه على أنه مصدر وصف به مبالغة .

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ٧٢ الجن

وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ٧٢ الجن

قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ٧٢ الجن

قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ٧٢ الجن

قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ٧٢ الجن

إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ٧٢ الجن

١٨ (وأن المساجد لله) عطف على قوله تعالى أنه استمع أى وأوحى إلى أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل
معناه ولأن المساجد لله (فلا تدعوا) أى لاتعبدوا فيها (مع الله أحداً) غيره وقيل المراد بالمساجد
المسجد الحرام والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لأنه قبلة المساجد وقيل الأرض
كلها لأنها جعلت مسجداً للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهى السجود
١٩ لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على أنه جمع المصدر الميمى (وأنه) من
جملة الموحى أى وأوحى إلى أن الشأن (لما قام عبد الله) أى النبي عليه الصلاة والسلام وإيراده بلفظ
العبد للإشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه (يدعوه) حال
من فاعل قام أى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى سورة الأحقاف (كادوا) أى
الجن (يكونون عليه لبداً) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من
قراءته واقتداء أصحابه به قياماً وركوعاً وسجوداً لأنهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره
وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفاً للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه
متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ماتلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرىء لبداً جمع لبدة وهى
بمعنى اللبدة ولبداً جمع لابد كساجد وسجد ولبداً بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت
٢٠ الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن يظهره على من ناوأه (قل إنما أدعوا) أى أعبد
(ربى ولا أشرك به) بربى فى العبادة (أحداً) فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الإطباق
على عداوتى وقرىء قال على أنه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والأول هو الأظهر
٢١ والأوفق لقوله تعالى (قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) كأنه أريد لا أملك لكم ضرا ولا نفعاً
٢٢ ولا غياً ولا رشداً فترك من كلا المتقابلين ماذكر فى الآخر (قل إنى لن يجيرنى من الله أحد) إن أرادنى
بسوء (ولن أجد من دونه ملتحداً) ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون
٢٣ نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون غيره وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله) استثناء

حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ٧٢ الجن

قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ٧٢ الجن

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ٧٢ الجن

إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ٧٢ الجن

من قوله لا أملك فإن التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة أو من ملتحدا
أى لن أجد من دونه منجأ إلا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به وقيل إلا مركبة من أن الشرطية ولا النافية
ومعناه أن لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه (ورسالاته) عطف على بلاغا *
ومن الله صفته لاصلته أى لا أملك لكم إلا تبليغاً كائناً منه تعالى ورسالاته التى أرسلنى بها (ومن يعص *
الله ورسوله) فى الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه (فإن له نار جهنم) وقرىء بفتح الهمزة على فحقه أو *
فجزاؤه أن له نار جهنم (خالدين فيها) فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى (أبدا) بلا نهاية وقوله *
٢٤ تعالى (حتى إذا رأوا مايوعدون) غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه
الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لايزالون على ماهم عليه حتى إذا رأوا مايوعدون من فنون
العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حينئذ (من أضعف ناصرا وأقل عددا) وحمل مايوعدون على مارأوا *
٢٥ يوم بدر يأباه قوله تعالى (قل إن أدرى) أى ما أدرى (أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا)
فإنه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود إنكارا له واستهزاء به فقيل قل
٢٦ إنه كائن لامحالة وأما وقته فما أدرى متى يكون (عالم الغيب) بالرفع قيل هو بدل من ربى أو بيان له
ويأباه الفاء فى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا) إذ يكون النظم حينئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا *
فلا يظهر عليه أحدا وفيه من الاختلال مالا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف أى هو عالم الغيب والجملة
استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على
الإطلاق أى فلا يطلع على غيبه إطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافاً تاماً موجباً لعين اليقين
٢٧ أحدا من خلقه (إلا من ارتضى من رسول) أى إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة
برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً تاماً إما لكونه من مبادىء رسالته بأن يكون
معجزة دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى أمر بها المكلفون
وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من
جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة وأما مالا يتعلق
بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحداً أبدا على أن بيان
وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه مايدل على نفى كرامات الأولياء

لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ٧٢ الجن

المتعلقة بالكشف فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعى أحد لأحد من الأولياء ما فى رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أى فإنه يسلك من جميع جوانب الرسول صلى الله عليه وسلم عند إظهاره على غيبه حرساً من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) متعلق بيسلك غاية له من حيث أنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه إذ المراد به العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى أريد إظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا إما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علماً مستتبعاً للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية فى الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد وإيراد علمه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما وأما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فى الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات ربهم إلى أممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصد إليهم كذلك وقوله تعالى (وأحاط بما لديهم) أى بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جىء بها لتحقيق استغنائه تعالى فى العلم بالإبلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الأحوال جميعاً (وأحصى كل شىء) مما كان وما سيكون (عددا) أى فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيوناً والأصل أحصى عدد كل شىء وقيل هو حال أى معدودا محصورا أو مصدر بمعنى احصاء وأياً ما كان ففائدته بيان أن علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلى إجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فإن الإحصاء قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما فى قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها أى لاتقدروا على حصرها إجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقدا معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق بمحمدا وكذب به عتق رقبة .



بسم الله الرحمن الرحيم

وتسمى قل أوحى إليّ وهي مكية بالاتفاق وآيها بلا خلاف ثمان وعشرون آية ووجه اتصالها قال الجلال السيوطي فكرت فيه مدة فلم يظهر لي سوى أنه سبحانه قال في سورة [نوح: ١٠، ١١] ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ وقال عز وجل في هذه السورة لكفار مكة ﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾ [الجن: ١٦] وهذا وجه بين في الارتباط انتهى وفي قوله لكفار مكة شيء ستعلمه إن شاء الله تعالى ويجوز أن يضم إلى ذلك اشتمال هذه السورة على شيء مما يتعلق بالسماء كالسورة السابقة وذكر العذاب لمن يعصي الله عز وجل في قوله سبحانه ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ [الجن: ٢٣] فإنه يناسب قوله تعالى ﴿أغرقوا فادخلوا ناراً﴾ [نوح: ٢٥] على وجه وقال أبو حيان في ذلك أنه تعالى لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر والعكوف على عبادة الأصنام وكان أول رسول إلى أهل الأرض كما أن محمداً ﷺ آخر رسول إلى أهل الأرض والعرب الذين هو منهم ﷺ كانوا عباد أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك في الأسماء أي أو عينها وكان ما جاء به عليه الصلاة والسلام هادياً إلى الرشد وقد سمعته العرب وتوقف عن الإيمان به أكثرهم أنزل الله تعالى سورة الجن وجعلها إثر سورة نوح تبكيتاً لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان وكانت الجن خيراً منهم إذ أقبل للإيمان من أقبل منهم وهم من غير جنس الرسول عليه الصلاة والسلام حتى كادوا يكونون عليه لبداً ومع ذلك التباطي فهم مكذبون له ولما جاء به حسداً وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فقال عز من قائل:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا

وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة والعتكي عن أبي عمرو وجؤبة بن عائذ الأسدي «وُحِي» بلا همزة وهو بمعنى أوحي بالهمز ومنه قول العجاج:

وحى لها القرار فاستقرت

وقرأ زيد بن علي وجؤبة فيما روى عنه الكسائي وابن أبي عبلة في رواية «أحي» بإبدال واو وحي همزة كما قالوا في وعد أعد قال الزمخشري وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً كإشاح وإعاء وإسادة وهذا أحد قولين للمازني والقول الآخر قصر ذلك على السماع وما ذكره من إطلاق الجواز في المضمومة تعقب بأن المضمومة قد تكون أولاً وحشواً وآخراً ولكل منها أحكام وفي بعضها خلاف وتفصيل مذكور في كتب النحو فليراجع وزاد بعض الأجلة قلب الواو والمضموم ما قبلها فقال إنه أيضاً مقيس مطرد وإنه قد يرد ذلك في المفتوحة كأحد وعلى جميع القراءات الجار متعلق بما عنده ونائب الفاعل ﴿أَنَّهُ﴾ الخ على أنه في تأويل المصدر والضمير للشأن ﴿استَمَعَ﴾ أي القرآن كما ذكر في الأحقاق وقد حذف لدلالة ما بعده عليه ﴿نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾ النفر في المشهور ما بين الثلاثة والعشرة. وقال الحريري في درته: إن النفر إنما يقع على الثلاثة من الرجال إلى العشرة وقد وهم في ذلك فقد يطلق على ما فوق العشرة في الفصيح وقد ذكره غير واحد من أهل اللغة وفي كلام الشعبي حدثني بضعة عشر نفراً ولا يختص بالرجال بل ولا بالناس لإطلاقه على الجن هنا وفي المجمل الرهط والنفر يستعمل إلى الأربعين والفرق بينهما أن الرهط يرجعون إلى أب واحد بخلاف النفر وقد يطلق على القوم ومنه قوله تعالى ﴿وأعز نفراً﴾ [الكهف: ٣٤] وقول امرىء القيس:

فهو لا تنمي[1] رميته ... ما له لا عد من نفره

وقال الإمام الكرماني للنفر معنى آخر في العرف وهو الرجل وأراد بالعرف عرف اللغة لأنه فسر به الحديث الصحيح فليحفظ و ﴿الجن﴾ واحده جني كروم ورومي وهم أجسام عاقلة تغلب عليها النارية كما يشهد له قوله تعالى ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ [الرحمن: ١٥] وقيل الهوائية قابلة جميعها أو صنف منها للتشكل بالأشكال المختلفة من شأنها الخفاء، وقد ترى بصور غير صورها الأصلية بل وبصورها الأصلية التي خلقت عليها كالملائكة عليهم السلام وهذا للأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ومن شاء الله تعالى

---

(١) قوله تنمي الخ يقال أنمى إذا توارى ا هـ منه.

من خواص عباده عز وجل، ولها قوة على الأعمال الشاقة ولا مانع عقلاً من أن تكون بعض الأجسام اللطيفة النارية مخالفة لسائر أنواع الجسم اللطيف في الماهية ولها قبول لإفاضة الحياة والقدرة على أفعال عجيب مثلاً. وقد قال أهل الحكمة الجديدة بأجسام لطيفة أثبتوا لها من الخواص ما يبهر العقول فلتكن أجسام الجن على ذلك النحو من الأجسام وعالم الطبيعة أوسع من أن تحيط بحصر ما أودع فيه الأفهام وأكثر الفلاسفة على إنكار الجن. وفي رسالة الحدود لابن سينا الجني حيوان هوائي متشكل بأشكال مختلفة وهذا شرح الاسم وظاهره نفي أن يكون لهذه الحقيقة وجود في الخارج ونفي ذلك كفر صريح كما لا يخفى، واعترف جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات بوجودهم ويسمونهم بالأرواح السفلية والمشهور أنهم زعموا أنها جواهر قائمة بأنفسها ليست أجساماً ولا جسمانية وهي أنواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الأعراض فبعضها خيرة وبعضها شريرة ولا يعرف عدد أنواعها وأصنافها إلاّ الله عز وجل ولا يبعد على هذا أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة يعجز عنها البشر بل لا يبعد أيضاً على ما قيل أن يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم ومن الناس من زعم أن الأرواح البشرية والنفوس الناطقة إذا فارقت أبدانها ازدادت قوة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانية فإذا اتفق حدوث بدن آخر مشابه لما كان لتلك النفس المفارقة من البدن تعلقت تلك النفس به تعلقاً ما وتصير كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها لذلك البدن فإن اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكاً وتلك الإعانة إلهاماً وإن اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطاناً وتلك الإعانة وسوسة والكل مخالف لأقوال السلف. وظاهر الآيات والأحاديث وجمهور أرباب الملل معترفون بوجودهم كالمسلمين وإن اختلفوا في حقيقتهم وتمام الكلام في هذا المقام يطلب من آكام المرجان. وفي التفسير الكبير طرف مما يتعلق بذلك فارجع إليه إن أردته. واختلف في عدد المستمعين فقيل سبعة فعن زر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير القرية التي بالعراق، وعن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل وأين سبعة أو تسعة من اثني عشر ألفاً ولعل النفر عليه القوم وفي الكشاف كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عدداً وعامة جنود إبليس منهم، والآية ظاهرة في أنه ﷺ علم استماعهم له بالوحي لا بالمشاهدة وقد وقع في الأحاديث أنه عليه الصلاة والسلام رآهم وجمع ذلك بتعدد القصة قال في آكام المرجان ما محصله في الصحيحين في حديث ابن عباس ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم وإنما انطلق بطائفة من الصحابة لسوق عكاظ قد حيل بين الجن والسماء بالشهب فقالوا: ما ذاك إلا لشيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمر من ذهب لتهامة منهم به عليه الصلاة والسلام وهو يصلي الفجر بأصحابه بنخلة فلما استمعوا له قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين السماء ورجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا الخ فأنزل الله تعالى عليه ﴿**قل أوحي**﴾ الخ ثم قال ونفى ابن عباس إنما هو في هذه القصة واستماعهم تلاوته ﷺ في الفجر في هذه القصة لا مطلقاً ويدل عليه قوله تعالى ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ [الأحقاف: ٢٩] الخ فإنها تدل على أنه عليه الصلاة والسلام كلمهم ودعاهم وجعلهم رسلاً لمن عداهم كما قاله البيهقي وروى أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن قال وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم» الخ وقد دلت الأحاديث على أن وفادة الجن كانت ست مرات. وقال ابن تيمية إن ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة من إتيان الجن له ﷺ ومكالمتهم إياه عليه الصلاة والسلام وقصة الجن كانت قبل الهجرة بثلاث سنين. وقال الواقدي كانت سنة إحدى عشرة من

النبوة وابن عباس ناهز الحلم في حجة الوداع فقد علمت أن قصة الجن وقعت ست مرات. وفي شرح البيهقي من طرق شتى عن ابن مسعود أن النبي ﷺ صلّى العشاء ثم انصرف فأخذ بيدي حتى أتينا مكان كذا فأجلسني وخط عليّ خطاً ثم قال: «لا تبرحن خطك» فبينما أنا جالس إذ أتاني رجال منهم كأنهم الزط فذكر حديثاً طويلاً وأنه ﷺ ما جاءه إلى السحر قال وجعلت أسمع الأصوات ثم جاء عليه الصلاة والسلام فقلت: أين كنت يا رسول الله؟ فقال: «أرسلت إليّ الجن» فقلت: ما هذه الأصوات التي سمعت؟ قال: «هي أصواتهم حين ودعوني وسلموا علي» وقد يجمع الاختلاف في القلة والكثرة بأن ذلك لتعدد القصة أيضاً والله تعالى أعلم. واختلف فيما استمعوه فقال عكرمة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] وقيل سورة الرحمن ﴿**فَقَالُوا**﴾ أي لقومهم عند رجوعهم إليهم ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا**﴾ أي كتاباً مقروءاً على ما فسره به بعض الأجلة وفسر بذلك للإشارة إلى أن ما ذكروه في وصفه مما يأتي وصف له كله دون المقروء منه فقط، والمراد أنه من الكتب السماوية والتنوين للتفخيم أي قرآناً جليل الشأن ﴿**عَجَباً**﴾ بديعاً مبايناً لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة ﴿**يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ**﴾ إلى الحق والصواب وقيل إلى التوحيد والإيمان وقرأ عيسى «الرُّشُدِ» بضمتين وعنه أيضاً فتحهما ﴿**فَآمَنَّا بِهِ**﴾ أي بذلك القرآن من غير ريث ﴿**وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**﴾ حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد أو حسبما نطق به الدلائل العقلية على التوحيد ولم تعطف هذه الجملة بالفاء قال الخفاجي لأن نفيهم للإشراك إما لما قام عندهم من الدليل العقلي فحينئذٍ لا يترتب على الإيمان بالقرآن وإما لما سمعوه من القرآن فحينئذٍ يكفي في ترتبها عليه عطف الأول بالفاء خصوصاً والباء في به تحتمل السببية فيعم الإيمان به الإيمان بما فيه فإنك إذا قلت ضربته فتأدب وانقاد لي فهم ترتب الانقياد على الضرب ولو قلت فانقاد لم يترتب على الأول بل على ما قبله. وقيل: عطفت بالواو ولتفويض الترتب إلى ذهن السامع وقد يقال إن مجموع ﴿**فآمنا به ولن نشرك**﴾ مسبب عن مجموع ﴿**إنا سمعنا**﴾ الخ فكونه قرآناً معجزاً يوجب الإيمان به وكونه يهدي إلى الرشد يوجب قلع الشرك من أصله والأول أولى وجوز أن يكون ضمير به لله عز وجل لأن قوله سبحانه ﴿**بربنا**﴾ يفسره فلا تغفل ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا**﴾ اختلفوا قراءة في أن هذه وما بعدها إلى ﴿**وإنا منا المسلمون**﴾ وتلك اثنتا عشرة فقرأها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح الهمزة فيهن ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة ما هنا وأنه كان يقول وإنه كان رجال وقرأ الباقون بكسرها في الجميع واتفقوا على الفتح في ﴿**أنه استمع**﴾ و ﴿وأن المساجد﴾ [الحج: ١٨] لأن ذلك لا يصح أن يكون من قول الجن بل هو مما أوحى بخلاف الباقي فإنه يصح أن يكون من قولهم ومما أوحى واختلفوا في أنه لما قام فقرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها كذا فصله بعض الأجلة وهو المعول عليه ووجه الكسر في أن هذه وما بعدها إلى ﴿**وإنا منا المسلمون**﴾ ظاهر كالكسر في ﴿**أنا سمعنا قرآناً**﴾ لظهور عطف الجمل على المحكي بعد القول ووضوح اندراجها تحته، وأما وجه الفتح ففيه خفاء ولذا اختلف فيه فقال الفراء والزجاج والزمخشري هو العطف على محل الجار والمجرور في ﴿**آمنا به**﴾ كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي ويكفي في إظهاره المحل إظهار مع المرادف وليس من العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار الممنوع عند البصريين في شيء وإن قيل به هنا بناءً على مذهب الكوفيين المجوزين له ولو قيل إنه بتقدير الجار لاطراد حذفه قبل أن وإن لكان سديداً كما في الكشف وضعف مكي العطف على ما في حيز ﴿**آمنا**﴾ فقال فيه بعد في المعنى لأنهم لم يخبروا أنهم آمنوا بأنهم لما سمعوا الهدى آمنوا به ولا أنهم آمنوا بأنه كان رجال إنما حكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا ذلك مخبرين عن

أنفسهم لأصحابهم وأجيب عن الذاهبين إليه بأن الإيمان والتصديق يحسن في بعض تلك المعطوفات بلا شبهة فيمضي في البواقي ويحمل على المعنى على حد قوله:

وزججن الحواجب والعيونا

فيخرج على ما خرج عليه أمثاله فيؤول صدقنا بما يشمل الجميع أو يقدر مع كل ما يناسبه وقال أبو حاتم هو العطف على نائب فاعل أوحى أعني أنه استمع كما في أن المساجد على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل ﴿قل أوحي إليّ﴾ كيت وكيت وهذه العبارات وتعقب بأن حكاية عباراتهم تقتضي أن تكون أن في كلامهم مفتوحة الهمزة ولا يظهر ذلك إلا أن يكون في كلامهم ما يقتضي الفتح كاسمعوا أو اعلموا أو نخبركم لكنه أسقط وقت الحكاية ولا يظهر لإسقاطه وجه وعلى تقدير الظهور فالفتح ليس لأجل العطف فإن النائب عن الفاعل عليه مجموع كل جملة على إرادة اللفظ دون المنسبك من أن وما بعدها وإلاّ لما صح أن يقال الموحى كيت وكيت وهذه العبارات فإن كانت أن في كلامهم مكسورة الهمزة وصحت دعوى أن الحكاية اقتضت فتحها مع صحة إرادة هذه العبارات معه فذاك وإلاّ فالأمر كما ترى فافهم وتأمل والجد العظمة والجلال يقال جد في عيني أي عظم وجل أي وصدقنا أن الشأن ارتفع عظمة وجلال ربنا أي عظمت عظمته عز وجل وفيه من المبالغة ما لا يخفى وقال أبو عبيدة والأخفش الملك والسلطان وقيل الغني وهو مروي عن أنس والحسن في الآية والأول مروي عن الجمهور والجد على جميع هذه الأوجه مستعار من الجد الذي هو البخت وقوله عز وجل ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾ عليها تفسير للجملة وبيان لحكمها ولذا لم يعطف عليها فالمراد وصفه عز وجل بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه سبحانه وتعالى وكأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقده كفرة الجن من تشبيهه سبحانه بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزّهوه تعالى عنه. وقرأ حميد بن قيس «جُد» بضم الجيم قال في البحر ومعناه العظيم حكاه سيبويه وإضافته إلى ﴿ربنا﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف والمعنى تعالى ربنا العظيم وقرأ عكرمة «جدٌ» منوناً مرفوعاً «رَبُّنَا» بالرفع وخرج على أن الجد بمعنى العظيم أيضاً و «ربنا» خبر مبتدأ محذوف أي هو ربنا أو بدل من «جد» وقرأ أيضاً «جداً» منوناً منصوباً على أنه تميز محول عن الفاعل وقرأ هو أيضاً وقتادة «جُداً» بكسر الجيم والتنوين والنصب «رَبُّنا» بالرفع قال ابن عطية نصب «جداً» على الحال والمعنى تعالى ربنا حقيقة ومتمكناً وقال غيره هو صفة لمصدر محذوف أي تعالياً جداً وقرأ ابن السميفع «جدا ربنا» أي جدواه ونفعه سبحانه وكان المراد بذلك الغنى فلا تغفل ﴿وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ هو إبليس عند الجمهور وقيل مردة الجن والإضافة للجنس والمراد سفهاؤنا ﴿على الله شَطَطاً﴾ أي قولاً ذا شطط أي بعد عن القصد ومجاوزة الحد أو هو في نفسه شطط لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه عز وجل وتعلق الإيمان والتصديق بهذا القول بناءً على ما يقتضيه العطف على ما في حيز ﴿فآمنا﴾ ليس باعتبار نفسه فإنهم كانوا عالمين بقول سفيههم من قبل بل باعتبار كونه شططاً كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقول سفيهنا في حقه سبحانه كان شططاً ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ وَالجِنُّ عَلى اللهِ كَذِباً﴾ اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أي كنا نظن أن لن يكذب على الله تعالى أحد فينسب إليه سبحانه الصاحبة والولد ولذلك اعتقدنا صحة قول السفيه ولعل الإيمان متعلق بما يشعر به كلامهم هذا وينساق إليه من خطئهم في ظنهم كأنه قيل وصدقنا بخطئنا في ظننا الذي لأجله اعتقدنا ما اعتقدنا و ﴿كذباً﴾ مصدر مؤكد لتقول لأنه نوع من القول كما

في قعدت القرفصاء أو وصف لمصدر محذوف أي قولاً كذباً أي مكذوباً فيه لأنه لا يتصور صدور الكذب منه وإن اشتهر توصيفه به كالقائل وجوز أن يكون من الوصف بالمصدر مبالغة وهي راجعة للنفي دون المنفي. وقرأ الحسن والجحدري وعبد الرحمن بن أبي بكرة ويعقوب وابن مقسم «تقول» مضارع تقول وأصله تتقول بتاءين فحذفت إحداهما فكذباً مصدر مؤكد لأن الكذب هو التقول ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ**﴾ كان الرجل من العرب إذا أمسى في واد قفر وخاف على نفسه نادى بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والإنس وذلك قوله تعالى ﴿**فَزَادُوهُمْ**﴾ أي زاد الرجال العائذون الجن ﴿**رَهَقاً**﴾ أي تكبراً وعتواً فالضمير المرفوع لرجال الإنس إذ هم المحدث عنهم والمنصوب لرجال الجن وهو قول مجاهد والنخعي وعبيد بن عمير وجماعة إلاّ أن منهم من فسر الرهق بالإثم وأنشد الطبري لذلك قول الأعشى:

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها ... لا يشتكي وامق ما لم يصب رهقا

فإنه أراد ما لم يغش محرماً فالمعنى هنا فزادت الإنس والجن مأثماً لأنهم عظموهم فزادوهم استحلالاً لمحارم الله تعالى أو فزاد الجن العائذين غيّاً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم فالضميران على عكس ما تقدم وهو قول قتادة وأبي العالية والربيع وابن زيد والفاء على الأول للتعقيب وعلى هذا قيل للترتيب الإخباري. وذهب الفراء إلى أن ما بعد الفاء قد يتقدم إذا دل عليه الدليل كقوله تعالى ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا﴾ [الأعراف: ٤] وجمهور النحاة على خلافه وقيل في الكلام حذف أي فاتبعوهم فزادوهم. والآية ظاهرة في أن لفظ الرجال يطلق على ذكور الجن كما يطلق على ذكور الإنس. وقيل لا يطلق على ذكور الجن و ﴿**من الجن**﴾ في الآية متعلق بـ ﴿**يعوذون**﴾ ومعناها أنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجن برجال من الإنس وكان الرجل يقول مثلاً أعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي وهو قول غريب مخالف لما عليه الجمهور المؤيد بالآثار، ولعل تعلق الإيمان بهذا باعتبار ما يشعر به من كون ذلك ضلالاً موجباً لزيادة الرهق. وقد جاء في بعض الأخبار ما يقال بدل هذه الاستعاذة ففي حديث طويل أخرجه أبو نصر السجزي في الإبانة من طريق مجاهد عن ابن عباس وقال غريب جداً أنه ﷺ قال: «إذا أصاب أحداً منكم وحشة أو نزل بأرض مجنة فليقل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل السماء وما يعرج فيها ومن فتن النهار ومن طوارق الليل إلاّ طارقاً يطرق بخير» ﴿**وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا**﴾ أي الإنس ﴿**كَمَا ظَنَنْتُمْ**﴾ أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض ﴿**أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً**﴾ أي من الرسل أحد من العباد وقيل إنه لن يبعث سبحانه أحداً بعد الموت وأيّاً ما كان فالمراد وقد أخطؤوا وأخطأتم ولعله متعلق الإيمان وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة أن لن الخ فتكون هذه الآية من جملة الكلام الموحى به معطوفة على قوله تعالى ﴿**إنه استمع**﴾ وعلى قراءة الكسر تكون استئنافاً من كلامه تعالى وكذا ما قبلها على ما قيل وفي الكشاف قيل الآيتان يعني هذه وقوله تعالى ﴿**وأنه كان رجال**﴾ الخ من جملة الموحى وتعقب ذلك في الكشف بأن فيه ضعفاً لأن قوله سبحانه ﴿**وأنا لمسنا السماء**﴾ الخ من كلام الجن أو مما صدقوه على القراءتين لأن من الموحى إليه فتخلل ما تخلل وليس اعتراضاً غير جائز إلاّ أن يؤول بأنه يجري مجراه لكونه يؤكد ما حدث عنهم في تماديهم في الكفر أولاً ولا يخفى ما فيه من التكلف انتهى. وأبو السعود اختار في جميع الجمل المصدرة بأنا العطف على ﴿**أنه استمع**﴾ على نحو ما سمعت عن أبي حاتم وقد سمعت ما فيه آنفاً وأن مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن والجملة بعدها خبر وجملة أن لن يبعث الخ

قيل سادة مسد مفعولي ظنوا وجوز أن تكون سادة مسد مفعولي ظننتم ويكون الساد مسد مفعولي الأول محذوفاً كما هو المختار في أمثال ذلك ورجح الأول في الآية بأن ﴿ظنوا﴾ هو المقصود فيها فجعل المعمول المذكور له أحسن وأما ﴿كما ظننتم﴾ فمذكور بالتبع ومنه يعلم أن كون المختار أعمال الثاني في باب التنازع ليس على إطلاقه ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء﴾ أي طلبنا بلوغها لاستماع كلام أهلها أو طلبنا خبرها. واللمس قيل مستعار من المس للطلب كالجس يقول لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه. والظاهر أن الاستعارة هنا لغوية لأنه مجاز مرسل لاستعماله في لازم معناه والسماع على ظاهرها ﴿فَوَجَدْنَاهَا﴾ أي صادفناها وأصبناها فوجد متعد لواحد وقوله تعالى ﴿مُلِئَتْ﴾ في موضع الحال بتقدير قد أو بدونه وإن كانت وجد من أفعال القلوب فهذه الجملة في موضع المفعول الثاني وقرأ الأعرج «مليت» بالياء دون همز ﴿حَرَساً﴾ أي حرساً اسم جمع كخدم كما ذهب إليه جمع لأنه على وزن يغلب في المفردات كبصر وقمر ولذا نسب إليه فقيل حرسي وذهب بعض إلى أنه جمع والصحيح الأول ولذا وصف بالمفرد فقيل ﴿شَدِيداً﴾ أي قوياً ونحوه قوله:

نـنـيـتـه بـعـصـبـة مـن مـالـيـا ... أخـشـى رجـيـلاً وركـيـبـاً عـاديـا

ولو روعي معناه جمع بأن يقال شداداً إلاّ أن ينظر لظاهر وزن فعيل فإنه يستوي فيه الواحد والجمع والمراد بالحرس الملائكة عليهم السلام الذين يمنعونهم عن قرب السماء ﴿وَشُهُباً﴾ جمع شهاب وقد مر الكلام فيه وجوز بعضهم أن يكون المراد بالحرس الشهب والعطف مثله في قوله:

وهند أتى من دونها النأي والبعد

وهو خلاف الظاهر ودخول ﴿إنا لمسنا﴾ الخ في حيز الإيمان وكذا أكثر الجمل الآتية في غاية الخفاء والظاهر تقدير نحو نخبركم فيما لا يظهر دخوله في ذلك أو تأويل ﴿آمنا﴾ من أول الأمر بما ينسحب على الجميع ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ قبل هذا ﴿مِنهَا﴾ أي من السماء ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي مقاعد كائنة للسمع خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع و ﴿للسمع﴾ متعلق بنقعد أي لأجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد وكيفية قعودهم على ما قيل ركوب بعضهم فوق بعض وروي في ذلك خبر مرفوع وقيل لا مانع من أن يكون بعروج من شاء منهم بنفسه إلى حيث يسمع منه الكلام ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ﴾ قال في شرح التسهيل ﴿الآن﴾ معناه هنا القرب مجازاً فيصح مع الماضي والمستقبل وفي البحر أنه ظرف زمان للحال و ﴿يستمع﴾ مستقبل فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال كما قال:

سأسعى الآن إذ بلغت أناها

فالمعنى فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾ أي يجد شهاباً راصداً له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم فرصد صفة ﴿شهاباً﴾ فإن كان مفرداً فالأمر ظاهر وإن كان اسم جمع للراصد كحرس فوصف المفرد به لأن الشهاب لشدة منعه وإحراقه جعل كأنه شهب ونظير ذلك وصف المعا وهو واحد الأمعاء بجياع في قول القتامي:

كـأن قـيـود رجـلـي حـيـن ضـمـت ... حـوالـب غـرزاو مـعـاً جـيـاعـا

وجوز كونه مفعولاً له أي لأجل الرصد وقيل يجوز أن يكون اسم جمع صفة لما قبله بتقدير ذوي شهاب فكأنه قيل يجد له ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة عليهم السلام الذي يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع وفيه بعد. وفي الآية رد على من زعم أن الرجم حدث بعد مبعث رسول الله ﷺ وهو

إحدى آياته عليه الصلاة والسلام حيث قيل فيها ملئت وهو كما قال الجاحظ ظاهر في أن الحادث هو الملء والكثرة وكذا قوله سبحانه ﴿**نقعد منها مقاعد**﴾ على ما في الكشاف فكأنه قيل كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها ﴿**فمن يستمع**﴾ الخ ويدل على وجود الشهب قبل ذكرها في شعر الجاهلية قال بشر بن أبي خازم:

والعير يرهقها الغبار وجحشها ... ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر:

وانقض كالدري يتبعه ... نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع يصف فرساً:

يرد علينا العير من دون إلفه ... أو الثور كالدري يتبعه الدم

فإن هؤلاء الشعراء كلهم كما قال التبريزي جاهلون ليس فيهم مخضرم. وما رواه الزهري عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما عن ابن عباس بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من الأنصار إذ رمى بنجم فاستنار فقال: «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم. وروي عن معمر قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم، قلت: أرأيت قوله تعالى ﴿**وانا كنا نقعد**﴾ فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي ﷺ وكأنه أخذ ذلك من الآية أيضاً. وقال بعضهم: إن الرمي لم يكن أولاً ثم حدث للمنع عن بعض السماوات ثم كثير ومنع به الشياطين عن جميعها يوم تنبأ النبي عليه الصلاة والسلام وجوز أن تكون الشهب من قبل لحوادث كونية لا لمنع الشياطين أصلاً والحادث بعد البعثة رمي الشياطين بها على معنى أنهم إذا عرجوا للاستماع رموا بها فلا يلزم أيضاً أن يكون كل ما يحدث من الشهب اليوم للرمي بل يجوز أن يكون لأمور أخر بأسباب يعلمها الله تعالى ويجاب بهذا عن حدوث الشهب في شهر رمضان مع ما جاء من أنه تصفد مردة الشياطين فيه ولمن يقول إن الشهب لا تكون إلاّ للرمي جواب آخر مذكور في موضعه وذكروا وجدانهم المقاعد مملوءة من الحراس ومنع الاستراق بالكلية قيل بيان لما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله ﷺ واستمعوا قراءته عليه الصلاة والسلام وقولهم ﴿**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ**﴾ بحراسة السماء ﴿**أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً**﴾ أي خيراً كالتتمة لذلك فالحامل في الحقيقة تغير الحال عما كانوا ألفوه والاستشعار أنه لأمر خطير والتشوق إلى الإحاطة به خبراً ولا يخفى ما في قولهم ﴿**أشر أريد**﴾ الخ من الأدب حيث لم يصرحوا بنسبة الشر إلى الله عز وجل كما صرحوا به في الخير وإن كان فاعل الكل هو الله تعالى ولقد جمعوا بين الأدب وحسن الاعتقاد ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ**﴾ أي الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ﴿**وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ**﴾ أي قوم دون ذلك المذكور ويطرد حذف الموصوف إذا كان بعض اسم مجرور بمن مقدم عليه والصفة ظرف كما هنا أو جملة كما في قوله منا أقام ومنا ظعن وأرادوا بهؤلاء القوم المقتصدين في صلاح الحال على الوجه السابق لا في الإِيمان والتقوى كما قيل فإن هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿**كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً**﴾ وأما حالهم بعد استماعه فستحكى بقوله تعالى ﴿**وانا لما سمعنا الهدى**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**وإنا منا المسلمون**﴾ الخ وجوز بعضهم كون ﴿**دون**﴾ بمعنى غير فيكون دون ذلك شاملاً للشرير المحض وأيًّا ما

كان فجملة كنا الخ تفسير للقسمة المتقدمة لكن قيل الأنسب عليه كون دون بمعنى غير والكلام على حذف مضاف أي كنا ذوي طرائق أي مذاهب أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال أو كانت بطرائقنا طرائق قدداً وكون هذا من تلقي الركبان لا يلتفت إليه وعدم اعتبار التشبيه البليغ ليستغني عن تقدير مثل قيل لأن المحل ليس محل المبالغة وجوز الزمخشري كون ﴿**طرائق**﴾ منصوباً على الظرفية بتقدير في أي كنا في ﴿**طرائق**﴾ وتعقب بأن الطريق اسم خاص لموضع يستطرق فيه فلا يقال للبيت أو المسجد طريق على الإطلاق وإنما يقال جعلت المسجد طريقاً فلا ينتصب مثله على الظرفية إلا في الضرورة وقد نص سيبويه على أن قوله:

كما عسل الطريق الثعلب

شاذ فلا يخرج القرآن الكريم على ذلك. وقال بعض النحاة: هو ظرف عام لأن كل موضع يستطرق طريق والقدد المتفرقة المختلفة قال الشاعر:

القابض الباسط الهادي بطاعته ... في فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد

جمع قدة من قد إذا قطع كأن كل طريق لامتيازها مقطوعة من غيرها ﴿**وَأَنَّا ظَنَنَّا**﴾ أي علمنا الآن ﴿**أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ**﴾ أي إن الشأن لن نعجز الله تعالى كائنين ﴿**في الأرض**﴾ أي أينما كنا من أقطارها ﴿**وَلَنْ نُعْجِزَهُ هرباً**﴾ أي هاربين منها إلى السماء فالأرض محمولة على الجملة ولما كان ﴿**ولن**﴾ الخ في مقابلة ما قبل لزم أن يكون الهرب إلى السماء وفيه ترقّ ومبالغة كأنه قيل لن نعجزه سبحانه في الأرض ولا في السماء. وجوز أن لا ينظر إلى عموم ولا خصوص كما في أرسلها العراك ويجعل الفوت على قسمين أخذاً من لفظ الهرب والمعنى لن نعجزه سبحانه في الأرض إن أراد بنا أمراً، ولن نعجزه عز وجل هرباً إن طلبنا وحاصله إن طلبنا لم نفته وإن هربنا لم نخلص منه سبحانه وفائدة ذكر الأرض تصوير أنها مع هذه البسطة والعراضة ليس فيها منجا منه تعالى ولا مهرب لشدة قدرته سبحانه وزيادة تمكنه جل وعلا ونحوه قول القائل:

وإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقيل فائدة ذكر ﴿**الأرض**﴾ تصوير تمكنهم عليها وغاية بعدها عن محل استوائه سبحانه وتعالى وليس بذاك وكون ﴿**في الأرض**﴾ و ﴿**هرباً**﴾ حالين كما أشرنا إليه هو الذي عليه الجمهور وجوز في ﴿**هرباً**﴾ كونه تمييزاً محولاً عن الفاعل أي لن يعجزه سبحانه هربنا ﴿**وَأَنَّا لَمَّا سَمِعنا الهُدَى**﴾ أي القرآن الذي هو الهدى بعينه ﴿**آمَنَّا بِهِ**﴾ من غير تلعثم وتردد ﴿**فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ**﴾ وبما أنزله عز وجل ﴿**فلاَ يَخَافُ**﴾ جواب الشرط ومثله من المنفي بلا يصح فيه دخول الفاء وتركها كما صرح به في شرح التسهيل إلاّ أن الأحسن تركها ولذا قدر ها هنا مبتدأ لتكون الجملة اسمية ولزم اقترانها بالفاء إذا وقعت جواباً إلا فيما شذ من نحو:

من يفعل الحسنات الله يشكرها

معلوم وبعضهم أوجب التقدير لزعمه عدم صحة دخول الفاء في ذلك أي فهو لا يخاف ﴿**بَخساً**﴾ أي نقصاً في الجزاء. وقال الراغب: البخس نقص الشيء على سبيل الظلم ﴿**ولا رَهَقاً**﴾ أي غشيان ذلة من قوله تعالى ﴿وترهقهم ذلة﴾ [يونس: ٢٧] وأصله مطلق الغشيان وقال الراغب: رهقه الأمر أي غشيه بقهر وفي الأساس رهقه دنا منه وصبي مراهق مدان للحلم وفي النهاية يقال رجل فيه رهق إذا كان يخف إلى الشر ويغشاه. وحاصل المعنى فلا يخاف أن يبخس حقه ولا أن ترهقه ذلة فالمصدر أعني ﴿**بخساً**﴾ مقدر باعتبار المفعول وليس المعنى على أن غير المؤمن يبخس حقه بل النظر إلى تأكيد ما ثبت له من الجزاء وتوفيره كملاً

وأما غيره فلا نصيب له فضلاً عن الكمال وفيه أن ما يجزي به غير المؤمن مبخوس في نفسه وبالنسبة إلى هذا الحق فيه كل البخس وإن لم يكن هناك بخس حق كذا في الكشف أو **﴿فلا يخاف بخساً ولا رهقا﴾** لأنه لم يبخس أحداً حقاً ولا رهقه ظلماً فلا يخاف جزاءهما وليس من إضمار مضاف، أعني الجزاء بل ذلك بيان لحاصل المعنى وأن ما ذكر في نفسه مخوف فإنه يصح أن يقال خفت الذنب وخفت جزاءه لأن ما يتولد منه المحذور محذور. وفيه دلالة على أن المؤمن لاجتنابه البخس والرهق لا يخافهما فإن عدم الخوف من المحذور إنما يكون لانتفاء المحذور وجاز أن يحمل على الإضمار وأصل الكلام فمن لا يبخس أحداً ولا يرهق ظلمه فلا يخاف جزاءهما فوضع ما في النظم الجليل موضعه تنبيهاً بالسبب على المسبب والأول كما قيل أظهر وأقرب مأخذاً. وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في الآية: لا يخاف نقصاً من حسناته ولا زيادة في سيئاته. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه قال: فلا يخاف بخساً ظلماً بأن يظلم من حسناته فينتقص منها شيء ولا رهقاً ولا أن يحمل عليه ذنب غيره وأخرج نحوه عن الحسن ولعل المعنى الأول أنسب بالترغيب بالإيمان وبلفظ الرهق أيضاً نظراً إلى ما سمعت من قوله تعالى **﴿وترهقهم ذلة﴾** وقرأ ابن وثاب والأعمش «فلا يَخَفْ» بالجزم على أن لا ناهية لا نافية لأن الجواب المقترن بالفاء لا يصح جزمه وقيل الفاء زائدة ولا للنفي وليس بشيء وأياً ما كان فالقراءة الأولى أدل على تحقق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وذلك لتقدير هو عليها وبناء الفعل عليه نحو هو عرف ويجتمع فيه التقوى والاختصاص إذا اقتضاهما المقام. وقرأ ابن وثاب «بَخَساً» بفتح الخاء المعجمة **﴿وأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القاسِطُونَ﴾** الجائرون على طريق الحق الذي هو الإيمان والطاعة يقال: قسط الرجل إذا جار وأنشدوا:

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة ... عمراً وهم قسطوا على النعمان

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ﴾ الإشارة إلى من أسلم والجمع باعتبار المعنى **﴿تَحَرَّوْا﴾** توخوا وقصدوا **﴿رَشَداً﴾** عظيماً بلغهم إلى الدار للثواب وقرأ الأعرج «رُشْداً» بضم الراء وسكون الشين **﴿وأَمَّا القَاسِطُونَ﴾** الجائرون عن سنن الإسلام **﴿فَكَانُوا لِجهَنَّمَ حَطَباً﴾** توقد بهم كما توقد بكفرة الإنس واستظهر أن **﴿فمن أسلم﴾** الخ من كلام الجن وقال ابن عطية الوجه أن يكون مخاطبة من الله تعالى لنبيه ﷺ ويؤيده ما بعد الآيات وفي الكشاف زعم من لا يرى للجن ثواباً أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعداً أن قال سبحانه **﴿فأولئك تحروا رشداً﴾** فذكر سبب الثواب والله عزَّ وجلَّ أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وهو ظاهر في أنه من كلامه عزَّ وجلَّ وقوله تعالى **﴿وأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا﴾** الخ معطوف قطعاً على قوله سبحانه **﴿أنه استمع﴾** ولا يضر تقدم المعطوف على غيره على القول به لظهور الحال وعدم الالتباس و **﴿أَنْ﴾** مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن. وقرأ الأعمش وابن وثاب بضم واو **﴿لو﴾** والمعنى وأوحى إلى أن الشأن لو استقام الإنس والجن أو كلاهما **﴿عَلى الطَّرِيقَةِ﴾** التي هي ملة الإسلام **﴿لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدقاً﴾** أي كثيراً وقرأ عاصم في رواية الأعمش بكسر الدال والمراد لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق بالذكر لأنه أصل المعاش وكثرته أصل السعة فقد قيل المال حيث الماء ولعزة وجوده بين العرب **﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾** أي لنختبرهم كيف يشكرونه أي لنعاملهم معاملة المختبر وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته سبحانه ولم يتكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنختبرهم ويجوز على هذا رجوع الضمير

إلى ﴿القاسطين﴾ وهو المروي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير واعتبار المثلى قيل لأن التعريف للعهد والمعهود طريقة الجن المفضلة على غيرها وقيل لأن جعلها طريقة وما عداها ليس بطريقة يفهم منه كونه مفضلة. وقيل المعنى أنه لو استقام الجن على طريقتهم وهي الكفر ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجاً لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة وروي نحو هذا عن الضحاك والربيع بن أنس وزيد بن أسلم وأبي مجلز بيد أنهم أعادوا الضمير على من أسلم وقالوا أي لو كفر من أسلم من الناس ﴿لأسقيناهم﴾ الخ وهو مخالف للظاهر لاستعمال الاستقامة على الطريقة في الاستقامة على الكفر وكون النعمة المذكورة استدراجاً من غير قرينة عليه مع أن قوله تعالى ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا﴾ [الأعراف: ٩٦] الخ يؤيد الأول وزعم الطيبي أن التذييل بقوله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ الخ ينصر ما قيل قال لأنه توكيد لمضمون السابق من الوعيد أي لنستدرجهم فيتبعوا الشهوات التي هي موجبة للبطر والإعراض عن ذكر الله تعالى وفيه نظر والذكر مصدر مضاف لمفعوله تجوز به عن العبادة أو هو بمعنى التذكير مضاف لفاعله ويفسر بالموعظة وقال بعضهم المراد بالذكر الوحي أن ﴿ومن يعرض﴾ عن عبادة ربه تعالى أو عن موعظته سبحانه أو عن وحيه عزَّ وجلَّ ﴿يسْلُكْهُ﴾ مضمن معنى ندخله ولذا تعدى إلى المفعول الثاني أعني قوله تعالى ﴿عَذاباً صعَداً﴾ بنفسه دون فى أو هو من باب الحذف والإيصال والصعد مصدر وصف به مبالغة أو تأويلاً أي ندخله عذاباً يعلو المعذب ويغلبه وفسر بشاق يقال فلان في صعد من أمره أي في مشقة ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه ما تصعدني شيء كما تصعدني خطبة النكاح أي ما شق عليّ وكأنه أخذ إنما قال ذلك لأنه كان من عادتهم أن يذكروا جميع ما كان في الخاطب من الأوصاف الموروثة والمكتسبة فكان يشق عليه ارتجالاً، أو كان يشق أن يقول الصدق في وجه الخاطب وعشيرته وقيل إنما شق من الوجوه ونظر بعضهم إلى بعض وقال أبو سعيد الخدري وابن عباس: صعد جبل في النار قال الخدري كلما وضعوا أيديهم عليه ذابت وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فإذا انتهى إلى أعلاها جدر إلى جهنم فعلى هذا قال أبو حيان: يجوز أن يكون بدلاً من عذاب على حذف مضاف أي عذاب صعد ويجوز أن يكون مفعول ﴿نسلكه﴾ و ﴿عذاباً﴾ مفعول من أجله وقرأ الكوفيون ﴿يسلكه﴾ بالياء وباقي السبعة بالنون وابن جندب بالنون من أسلك وبعض التابعين بالياء كذلك وهما لغتان سلك وأسلك قال الشاعر يصف جيشاً مهزومين:

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة(١) شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن

(١) قتائدة ثنية معروفة ا هـ منه.

رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

وقرأ قوم «صُعُداً» بضمتين وابن عباس والحسن بضم الصاد وفتح العين قال الحسن معناه لا راحة فيه ﴿**وأنَّ المساجِدَ لله**﴾ عطف على ﴿**أنه استمع**﴾ فهو من جملة الموحى والظاهر أن المراد بالمساجد المواضع المعدة للصلاة والعبادة أي وأوحي إليّ أن المساجد مختصة بالله تعالى شأنه ﴿**فلا تدْعُوا**﴾ أي فلا تعبدوا فيها ﴿**معَ الله أحداً**﴾ غيره سبحانه. وقال الحسن المراد كل موضع سجد فيه من الأرض سواء أعد لذلك أم لا إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة وكأنه ذلك مما في الحديث الصحيح: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» واشتهر أن هذا من خصائص نبينا ﷺ أي شريعته فيكون له ولأمته عليه الصلاة والسلام وكان من قبل إنما تباح لهم الصلاة في البيع والكنائس واستشكل بأن عيسى عليه السلام كان يكثر السياحة وغيره من الأنبياء عليهم السلام يسافرون فإذا لم تجز لهم الصلاة في غير ما ذكر لزم ترك الصلاة في كثير من الأوقات وهو بعيد لا سيما في الخضر عليه السلام ولذا قيل المخصوص كونها مسجداً وطهوراً أي المجموع ويكفي في اختصاصه اختصاص التيمم وأجيب بأن المراد الاختصاص بالنسبة إلى الأمم السالفة دون أنبيائها عليهم السلام والخضر إن كان حيّاً اليوم فهو من هذه الأمة سواء كان نبياً أم لا لخبر لو كان موسى حياً ما وسعه إلاّ اتباعي وحكمه قبله نبياً ظاهر والأمر فيه غير نبي سهل وقيل المراد بها المسجد الحرام أي الكعبة نفسها أو الحرم كله على ما قيل والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لأنه لما كان قبلة المساجد فإن كل قبلة متوجهة نحوه جعل كأنه جميع المساجد مجازاً وقيل: المراد هو وبيت المقدس فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس لم يكن يوم نزلت ﴿**وأن المساجد لله**﴾ الخ في الأرض مسجداً لا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس وأمر الجمع عليه أظهر منه على الأول لا أنه كالأول خلاف الظاهر وما ذكر لا يتم دليلاً له. وقال ابن عطاء وابن جبير والزجاج والفراء المراد بها الأعضاء السبعة التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهي القدمان والركبتان والكفان والوجه أي الجبهة والأنف. وروي أن المعتصم سأل أبا جعفر محمد بن عليّ بن موسى الكاظم رضي الله تعالى عنهم عن ذلك فأجاب بما ذكر. وقيل السجدات على أن المسجد بفتح الجيم مصدر ميمي ونقل عن الخليل بن أحمد أن قوله تعالى ﴿**وأن المساجد**﴾ بتقدير لام التعليل وهو متعلق بما بعد و ﴿**المساجد**﴾ بمعناها المعروف أي لأن ﴿**المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ ولما لم تكن الفاء في جواب شرط محقق كانت في الحقيقة زائدة فلا يمتنع تقديم معمول ما بعدها عليها نعم قال غير واحد جيء بها لتضمن الكلام معنى الشرط، والمعنى أن الله تعالى يحب أن يوحد ولا يشرك به أحد فإن لم يوحدوه في سائر المواضع فلا تدعوا معه أحداً في المساجد لأن المساجد له سبحانه مختصة به عزَّ وجلَّ فالإشراك فيها أقبح وأقبح ونظير هذا قوله تعالى ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا﴾ [قريش: ١ ـ ٣] على وجه ولا يعد ذلك من الشرط المحقق ويندفع بما ذكر لزوم جعل الفاء لغواً لأنها للسببية ومعناها مستفاد من اللام المقدرة وقيل في دفعه أيضاً أنها تأكيد للام أو زائدة جيء بها للإشعار بمعناها وأنها مقدرة والخطاب في ﴿**تدعوا**﴾ قيل للجن وأيد بما روي عن ابن جبير قال: إن الجن قالوا يا رسول الله كيف نشهد الصلاة معك على نأينا عنك فنزلت الآية ليخاطبهم على معنى أن عبادتكم حيث كانت مقبولة إذا لم تشركوا فيها. وقيل هو خطاب عام وعن قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله

عزَّ وجلَّ فأمرنا أن نخلص لله تعالى الدعوة إذا دخلنا المساجد يعني بهذه الآية وعن ابن جريج بدل ﴿فأمرنا﴾ الخ «فأمرهم أن يوحدوه» وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يتعلق بذلك أيضاً وقرأ كما في البحر ابن هرمز وطلحة «وإن المساجد» بكسر همزة «إن» وحمل ذلك على الاستئناف ﴿وأنَّهُ﴾ بفتح الهمزة عند الجمهور على أنه عطف على ﴿أنه استمع﴾ كالذي قبله فهو من كلامه تعالى أي وأوحى إليّ أن الشان ﴿لـمّا قام عَبدُ الله﴾ أي النبي ﷺ وقوله تعالى ﴿يدْعُوهُ﴾ حال من ﴿عبد﴾ أي لـما قام عابداً له عزَّ وجلَّ وذلك قيامه عليه الصلاة والسلام لصلاة الفجر بنخلة كما مر ﴿كادُوا﴾ أي الجن كما قال ابن عباس والضحاك ﴿يكُونون عَلَـيْهِ لِبَدَاً﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياماً وركوعاً وسجوداً لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره وهذا كالظاهر في أنهم كانوا كثيرين لا تسعة ونحوها وإيراده عليه الصلاة والسلام بلفظ العبد دون لفظ النبي أو الرسول أو الضمير إما لأنه مقول على لسانه ﷺ لأنه أمر أن يقول أوحي كذا فجيء به على ما يقتضيه مقام العبودية والتواضع، أو لأنه تعالى عدل عن ذلك تنبيهاً على أن العبادة من العبد لا تستبعد، ونقل عليه الصلاة والسلام كلامه سبحانه كما هو رفعاً لنفسه عن البين فلا وجود للأثر بعد العين وحيث كان هذا العدول منه جل وعلا إما لكذا أو لكذا لا أنه تصرف من رسول الله ﷺ لم يمتنع كما قال بعض الأجلة الجمع بين الحسنيين. وقال الحسن وقتادة ضمير ﴿كادوا﴾ لكفار قريش والعرب فيراد بالقيام القيام بالرسالة وبالتلبد التلبد للعداوة والمعنى وأنه لما قام عبد الله بالرسالة يدعو لله تعالى وحده ويذر ما كانوا يدعون من دونه كادوا لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين وجوز أن يكون الضمير على هذا للجن والإنس. وعن قتادة أيضاً ما يقتضيه قال: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله تعالى إلا أن ينصره على من ناوأه وفي البحر أبعد من قال عبد الله هنا نوح عليه السلام كاد قومه يقتلونه حتى استنقذه الله تعالى منهم قاله الحسن وأبعد منه قول من قال إنه عبد الله بن سلام ا هـ ولعمري إنه لا ينبغي القول بذلك ولا أظن له صحة بوجه من الوجوه. وقرأ نافع وأبو بكر كما قدمنا وابن هرمز وطلحة كما في الحبر «وإنه» بكسر الهمزة وحمل على أن الجملة استئنافية من كلامه عزَّ وجلَّ وجوز أن تكون من كلام الجن معطوفة على جملة ﴿أنا سمعنا﴾ حكوا فيها لقومهم لما رجعوا إليهم ما رأوا من صلاته ﷺ وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به وحكي ذلك عن ابن جبير وجوز نحو هذا على قراءة الفتح بناء على ما سمعت عن أبي حاتم أو بتقدير ونخبركم بأنه أو نحوه هذا. وفي الكشف الوجه على تقدير أن يكون ﴿وإن المساجد﴾ من جملة الموحي أن يكون ﴿فلا تدعوا﴾ خطاباً للجن محكياً إن جعل قوله تعالى «وإنه لما قام» على قراءة الكسر من مقول الجن لئلا ينفك النظم لو جعل ابتداء قصة ووحياً آخر منقطعاً عن حكاية الجن وكذلك لو جعل ضمير ﴿كادوا﴾ للجن على قراءة الفتح أيضاً والأصل أن المساجد لله فلا تدعوا أيها الجن مع الله أحداً فقيل قل يا محمد لمشركي مكة ﴿أوحي إلـى﴾ كذا وإذا كان كذلك فيجيء في ضمن الحكاية إثبات هذا الحكم بالنسبة إلى المخاطبين أيضاً لاتحاد العلة، وأما لو جعل خطاباً عاماً فالوجه أن يكون ضمير ﴿كادوا﴾ راجعاً إلى المشركين أو إلى الجن والإنس وأنْ يكون على قراءة الكسر جملة استئنافية ابتداء قصة منه جل شأنه في الإخبار عن حال رسول الله ﷺ وهو تمهيد لما يأتي من بعد وتوكيد لما ذكر من قبل فكأنه قيل: قل لمشركي مكة ما كان من حديث الجن وإيمان بعضهم وكفر آخرين منهم ليكون حكاية ذلك لطفاً لهم في الانتهاء عما كانوا فيه وحثاً على الإيمان ثم قيل ﴿وأنه لـما قام عبد الله يدعوه﴾ ويوحده كاد الفريقان من كفرة الجن والإنس ﴿يكونون عليه لبداً﴾ دلالة على عدم ارتداعهم مع هذه الدلائل الباهرة والآيات النيرة،

وما أحسن التقابل بين قوله تعالى ﴿وإن المساجد﴾ وبين هذا القول كأنهم نهوا كلهم عن الإشراك ودعوا إلى التوحيد فقابلوا ذلك بعداوة من يوحد الله سبحانه ويدعوه ولم يرضوا بالاباء وحده وهذا من خواص الكتاب الكريم وبديع أسلوبه إذا أخذ في قصة غب قصه جعلهما متناصفتين فيما سيق له الكلام وزاد عليه التآخي بينهما. في تناسب خاتمة الأولى وفاتحة الثانية، ولعل هذا الوجه من الوجاهة بمكان وأما لو فسر بما حكي عن الخليل ولأن المساجد لله فلا تدعوا الخ فالوجه أن يكون استطراداً ذكر عقيب وعيد المعرض والحمل على هذا على الأعضاء السبعة أظهر لأن فيه تذكيراً لكونه تعالى المنع بها عليهم وتنبهاً على أن الحكمة في خلقها خدمة المعبود من حيث العدول عن لفظ الأعضاء وأسمائها الخاصة إلى المساجد ودلالة على أن ذلك ينافي الإشراك وحينئذ لا يبقى إشكال في ارتباط ما بعده بما قبله على القراءتين والأوجه والله تعالى أعلم اهـ فتأمل. واللِبَد بكسر اللام وفتح الباء كما قرأ الجمهور جمع لبدة بالكسر نحو كسرة وكسر وهي الجماعات شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض ويقال للجراد ومنه كما قال الجبائي قول عبد مناف بن ربع الهذلي:

صافوا بستة أبيات وأربعة ... حتى كأن عليهم جابياً لبدا

وقرأ مجاهد وابن محيصن وابن عامر بخلاف عنه «لُبُداً» بضم اللام جمع لبدة كزبرة وزبر وعن ابن محيصن أيضاً تسكين الباء وضم اللام وقرأ الحسن والجحدري وأبو حيوة وجماعة عن أبي عمرو بضمتين جمع لبد كرهن ورهن أو جمع لبود كصبور وصبر وقرأ الحسن والجحدري أيضاً بخلاف عنهما «لُبَّداً» بضم اللام وتشديد الباء جمع لابد وأبو رجاء بكسرها وشد الباء المفتوحة ﴿قُلْ إِنَّما أَدْعُو﴾ أعبد ﴿رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ﴾ في العبادة ﴿أَحَداً﴾ فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الاطباق على عداوتي وقرأ الأكثرون «قال» على أنه حكاية منه تعالى لقوله ﷺ للمتراكمين عليه أو حكاية من الجن له عند رجوعهم إلى قومهم فلا تغفل وقراءة الأمر وهي قراءة عاصم وحمزة وأبي عمرو بخلاف عنه أظهر وأوفق لقوله سبحانه ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً﴾ أي ولا نفعاً تعبيراً باسم السبب عن المسبب، والمعنى لا أستطيع أن أضركم ولا أنفعكم إنما الضار والنافع هو الله عزَّ وجلَّ أو لا أملك لكم غيّاً ولا رشداً على أن الضر مراد به الغي تعبير باسم السبب عن السبب ويدل عليه قراءة أُبي «غيّاً» بدل ﴿ضراً﴾ والمعنى لا أستطيع أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك هو الله سبحانه وتعالى وجوز أن يكون في الآية الاحتباك والأصل لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً ولا غياً ولا رشداً فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر. وقرأ الأعرج «رُشُداً» بضمتين ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ﴾ إن أرادني سبحانه بسوء ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾ أي معدلاً ومنحرفاً وقال الكلبي مدخلاً في الأرض وقال السدي حرزاً وأصله المدخل من اللحد والمراد ملجأ يركن إليه وأنشدوا:

يا لهف نفسي ونفسي غير مجدية ... عني وما من قضاء الله ملتحد

وجوز فيه الراغب كونه اسم مكان وكونه مصدراً وهذا على ما قيل بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه ﷺ عن شؤون غيره وقيل في الكلام حذف وهو قالوا اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك فقيل له ﴿قل إني لن يجيرني﴾ الخ وقيل هو جواب لقول ورد أن سيد الجن وقد ازدحموا عليه أنا أرحلهم عنك فقال ﴿إني لن يجيرني﴾ الخ ذكره الماوردي والقولان ليسا بشيء وقوله تعالى ﴿إِلاَّ بَلاغاً مِنَ اللهِ﴾ استثناء من مفعول ﴿لا أملك﴾ كما يشير إليه كلام قتادة وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة فلا اعتراض بكثرة الفصل المبعدة لذلك فإن كان المعنى لا أملك أن أضركم ولا أنفعكم كان استثناء متصلاً كأنه

قيل لا أملك شيئاً إلاّ بلاغاً وإن كان المعنى لا أملك أن أقسركم على الغي والرشد كان منقطعاً أو من باب:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

كما في الكشف وظاهر كلام بعض الأجلة أنه إما استثناء متصل من ﴿**رشداً**﴾ فإن الإبلاغ إرشاد ونفع والاستثناء من المعطوف دون المعطوف عليه جائز، وأما استثناء منقطع من ﴿**ملتحداً**﴾ قال الرازي لأن البلاغ من الله تعالى لا يكون داخلاً تحت قوله سبحانه ﴿**من دونه ملتحداً**﴾ لأنه لا يكون من دون الله سبحانه بل منه جل وعلا وبإعانته وتوفيقه. وفي البحر قال الحسن هو استثناء منقطع أي ﴿**لن يجيرني أحد**﴾ لكن إن بلغت رحمتي بذلك والإجارة مستعارة للبلاغ إذ هو سبب إجارة الله تعالى ورحمته سبحانه وقيل هو على هذا المعنى استثناء متصل. والمعنى لن أجد شيئاً أميل إليه وأعتصم به إلاّ أن أبلغ وأطيع فيجيرني فيجوز نصبه على الاستثناء من ﴿**ملتحداً**﴾ أو على البدل وهو الوجه لأن قبله نفياً وعلى البدل خرجه الزجاج انتهى. والأظهر ما تقدم وقيل إن إلاّ مركبة من أن الشرطية ولا النافية والمعنى أن لا أبلغ بلاغاً وما قبله دليل الجواب فهو كقولك إلاّ قياماً فقعوداً وظاهره أن المصدر سد مسد الشرط كمعمول كان ولهم في حذف جملة الشرط مع بقاء الأداة كلام والظاهر إن إطراد حذفه مشروط ببقاء لا كما في قوله:

فطلقها فلست لها بكفء ... وإلاّ يعل مفرقك الحسام

ما لم يسد مسده شيء من معمول أو مفسر كـ ﴿إن أحد من المشركين استجارك﴾ [التوبة: ٦] والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وهذا الوجه خلاف المتبادر كما لا يخفى وقوله تعالى ﴿**وَرِسَالاتِهِ**﴾ عطف على ﴿**بلاغاً**﴾ و ﴿**من الله**﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة له أي بلاغاً كائناً من الله وليس بصلة له لأنه يستعمل بعن كما في قوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» والمعنى على ما علمت أولاً في الاستثناء لا أملك لكم إلاّ تبليغاً كائناً منه تعالى ورسالاته التي أرسلني عز وجل بها. وفي الكشف في الكلام إضمار أي بلاغ رسالته وأصل الكلام إلاّ بلاغ رسالات الله فعدل إلى المنزل ليدل على التبليغين مبالغة وإن كلا من المعنيين أعني كونه من الله تعالى وكونه بلاغ رسالاته يقتضي التشمر لذلك انتهى. وفي عبارة الكشاف رمز ما إليه لكن قيل عليه لا ينبغي تقدير المضاف فيه أعني بلاغ فإنه يكون العطف حينئذٍ من عطف الشيء على نفسه إلاّ أن يوجه بأن البلاغ من الله تعالى فيما أخذه عنه سبحانه بغير واسطة والبلاغ للرسالات فيما هو بها وهو بعيد غاية البعد فافهم. واستظهر أبو حيان عطفه على الاسم الجليل فقال الظاهر عطف ﴿**رسالاته**﴾ على ﴿**الله**﴾ أي إلاّ أن أبلغ عن الله وعن رسالاته وظاهره جعل ﴿**من**﴾ بمعنى عن وقد تقدم منه أنها لابتداء الغاية. وقرىء «قال لا أملك» أي قال عبد الله للمشركين أو للجن وجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم. هذا ووجه ارتباط الآية بما قبلها قيل بناء على أن التلبد للعداوة أنهم لما تلبدوا عليه ﷺ متظاهرين للعداوة قيل له عليه الصلاة والسلام ﴿**قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً**﴾ أي ما أردت إلاّ نفعكم وقابلتموني بالإساءة وليس في استطاعتي النفع الذي أردت ولا الضر الذي أكافئكم به إنما ذان إلى الله تعالى وفيه تهديد عظيم وتوكيل إلى الله جل وعلا وأنه سبحانه هو الذي يجزيه بحسن صنيعه وسوء صنيعهم، ثم فيه مبالغة من حيث إنه لا يدع التبليغ لتظاهرهم هذا فإن الذي يستطيعه عليه الصلاة والسلام هو التبليغ ولا يدع المستطاع ولهذا قال ﴿**إلاّ بلاغاً**﴾ وجعله بدلاً من ﴿**ملتحداً**﴾ شديد الطباق على هذا والشرط قريب منه، وأما إن كان الخطاب للجن والتلبد للتعجب

فالوجه أنهم لما تلبدوا لذلك قيل له عليه الصلاة والسلام قل لهم ما لكم ازدحمتم علي متعجبين مني ومن تطامن أصحابي على العبادة أني ليس إليّ النفع والضر إنما أنا مبلغ عن الضار النافع فأقبلوا أنتم مثلنا على العبادة ولا تقبلوا على التعجب فإن العجب ممن يعرض عن المنعم المنتقم الضار النافع ولعل اعتبار قوة الارتباط يقتضي أولوية كون التلبد كان للعداوة ومعصية الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾ أي في الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه فلا يصح استدلال المعتزلة ونحوهم بالآية على تخليد العصاة في النار وجوز أن يراد بالرسول رسول الملائكة عليهم السلام دون رسول البشر فالمراد بعصيانه أن لا يبلغ المرسل إليه ما وصل إليه كما وصل وهو خلاف الظاهر ﴿**فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ أي في النار أو في جهنم وجمع ﴿**خالدين**﴾ باعتبار معنى ﴿**من**﴾ كما أن الإفراد قبل باعتبار لفظها ولو روعي هنا أيضاً لقيل خالداً ﴿**أبداً**﴾ بلا نهاية. وقرأ طلحة «فأن» بفتح الهمزة على أن التقدير كما قال ابن الأنباري وغيره فجزاءه أن له الخ وقد نص النحاة على أن أن بعد فاء الشرط يجوز فيها الفتح والكسر فقول ابن مجاهد ما قرأ به أحد وهو لحن لأنه بعد فاء الشرط ناشيء من قلة تتبعه وضعفه في النحو وقوله تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً**﴾ جملة شرطية مقرونة بحتى الابتدائية وهي وإن لم تكن جارة فيها معنى الغاية فمدخولها غاية لمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل: لا يزالون يستضعفون ويستهزئون حتى إذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة تبين لهم أن المستضعف من هو ويدل على ذلك أيضاً جواب الشرط وكذا ما قيل على ما قيل لأن قوله سبحانه ﴿**قل إنما أدعو ربي**﴾ تعريض بالمشركين كيفما قدر بل السورة الكريمة من مفتتحها مسوقة للتعريض بحال مشركي مكة وتسلية لرسول الله ﷺ وتسرية عنه عليه الصلاة والسلام وتعبير لهم بقصور نظرهم عن الجن مع ادعائهم الفطانة وقلة إنصافهم ومبادهتهم بالتكذيب والاستهزاء بدل مبادهة الجن بالتصديق والاستهداء، ويجوز جعل ذلك غاية لقوله تعالى ﴿**يكونون عليه لبداً**﴾ إن فسر بالتلبد على العداوة ولا مانع من تخلل أمور غير أجنبية بين الغاية والمغيا فقول أبي حيان أنه بعيد جداً لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة ليس بشيء كجعله إياه غاية لما تضمنته الجملة قبل يعني فإن له نار جهنم من الحكم بكينونة النار له ومثل ذلك ما قيل من أنه غاية لمحذوف والتقدير دعهم حتى إذا رأوا الخ والظاهر أن ﴿**من**﴾ استفهامية كما أشرنا إليه وهي مبتدأ و ﴿**أضعف**﴾ خبر والجملة في موضع نصب بما قبلها وقد علق عن العمل لمكان الاستفهام وجوز كونها موصولة في موضع نصب بـ ﴿**يعلمون**﴾ و ﴿**أضعف**﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة لمن والتقدير فسيعرفون الذي هو أضعف وحسن حذف صدر الصلة طولها بالتمييز وجوز تفسير ﴿**ما يوعدون**﴾ بيوم بدر ورجح الأول بأن الظاهر أن قوله سبحانه ﴿**قُلْ إِنْ أَدْرِي**﴾ أي ما أدري ﴿**أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً**﴾ رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك، ومقتضى حالهم أنهم قالوا إنكاراً واستهزاء متى يكون ذلك الموعود بل روي عن مقاتل أن النضر بن الحارث قال ذلك فقيل قل إنه كائن لا محالة وأما وقته فما أدري متى يكون والأحرى بسؤالهم وهذا الجواب إرادة ما في يوم القيامة المنكرين له أشد الإنكار والخفي وقته عن الخلائق غاية الخفاء والمراد بالأمد الزمان البعيد بقرينة المقابلة بالقريب وإلاّ فهو وضعاً شامل لهما ولذا وصف ببعيداً في قوله تعالى ﴿تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠] وقيل إن معنى القرب ينبىء عن مشارفة النهاية فكأنه قيل لا أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم هو مؤجل ضرب له غاية والأول أولى وأقرب ﴿**عَالِمُ الغَيْبِ**﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو سبحانه عالم الغيب وجوز أبو حيان كونه

بدلاً من ﴿ربي﴾ وغيره أيضاً كونه بياناً له ويأبى الوجهين الفاء في قوله تعالى ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً﴾ إذ يكون النظم حينئذٍ ﴿أم يجعل﴾ له عالم الغيب ﴿أمداً﴾ ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ وفيه من الإخلال ما لا يخفى، وإضافة ﴿عالم﴾ إلى ﴿الغيب﴾ محصنة لقصد الثبات فيه فيفد تعريف الطرفين التخصيص وتعريف الغيب للاستغراق وفي الرضي أن اسم الجنس أعني الذي يقع على القليل والكثير بلفظ الواحد إذا استعمل ولم تقم قرينة تخصصه ببعض ما يصدق عليه فهو في الظاهر لاستغراق الجنس أخذاً من استقراء كلامهم فمعنى التراب يابس والماء بارد كل ما فيه هاتان الماهيتان حاله كذا فلو قلت في قولهم النوم ينقض الطهارة النوم مع الجلوس لا ينقضها لكان مناقضاً لذلك اللفظ انتهى. وهو يؤيد إرادة ذلك هنا لأن الغيب كالماء يقع على القليل والكثير بلفظ واحد ولا يضر في ذلك جمعه على غيوب كما لا يضر فيه جمع الماء على المياه وكذا المراد بغيبه جميع غيبه وقد نص عليه عزمي زاده معللاً له بكون اسم الجنس المضاف بمنزلة المعرف باللام سيما إذا كان في الأصل مصدراً وعزى إلى شرح المقاصد ما يقتضيه وربما يقال يفهم ذلك أيضاً من اعتبار كون الإضافة للعهد وأن المعهود هو الغيب المستغرق أو من اعتبارها للاختصاص وأن الغيب المختص به تعالى بمعنى المختص علمه سبحانه به هو كل غيب واعتناء بشأن الاختصاص جيء بالمظهر موضع المضمر والجملة استئناف لدفع توهم نقص من نفى الدارية والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب والمراد بالإظهار المنفي الاطلاع الكامل الذي تنكشف به جلية الحال على أتم وجه كما يرشد إليه حرف الاستعلاء فكأنه قيل ما عليّ إذا قلت ما أدري قرب ذلك الموعد الغيب ولا بعده فالله سبحانه وتعالى عالم كل غيب وحده فلا يطلع على ذلك المختص علمه به تعالى اطلاعاً كاملاً أحداً من خلقه ليكون أليق بالتفرد وأبعد عن توهم مساواة علم خلقه لعلمه سبحانه وإنما يطلع جل وعلا إذا اطلع من شاء على بعضه مما تقتضيه الحكمة التي هي مدار سائر أفعاله عز وجل وما نفيت عني العلم به مما لم يطلعني الله تعالى عليه لما أن الاطلاع عليه مما لا تقتضيه الحكمة التشريعية التي يدور عليها فلك الرسالة بل هو مخل بها وإن شئت فاعتبر الجملة واقعة موقع التعليل لنفي الدراية السابقة ولما كان مساق الكلام مما قد يتوهمون منه أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلع على شيء من الغيب عقّب عز وجل الكلام بالاستثناء المنقطع كما روي في البحر عن ابن عباس الذي هو بمعنى الاستدراك لدفع ذلك على أبلغ وجه حيث عمم الأمر في الرسل المرتضين وأقام كيفية الإظهار مقام الإظهار مع الإشارة إلى البعض الذي اطلعوا عليه المناسب لمقام الدعوة فقال عز من قائل ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ أي لكن الرسول المرتضى يظهره جل وعلا على بعض الغيوب المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً ما إما لكونه من مبادئها بأن يكون معجزة وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية وكيفيات الأعمال وأجزيتها ونحو ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة بأن يسلك من جميع جوانبه عند اطلاعه على ذلك حرساً من الملائكة عليهم السلام يحرسونه من تعرض الشياطين لما أريد اطلاعه عليه اختطافاً أو تخليطاً ﴿لِيَعْلَمَ﴾ متعلق بـ ﴿يسلك﴾ وعلة له والضمير لمن أي لأجل أن يعلم ذلك المرتضى الرسول ويصدق تصديقاً جازماً ثابتاً مطابقاً للواقع ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي الشأن قد أبلغ إليه الرصد وهو من قبيل: بنو تميم قتلوا زيداً فإن المبلغ في الحقيقة واحد معهم وهو جبريل عليه السلام كما هو المشهور من أنه المبلغ من بين الملائكة عليهم السلام إلى الأنبياء ﴿رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي الغيوب المظهر عليها كما هي من غير اختطاف ولا تخليط، وعلى هذا فليكن من مبتدأ وجملة ﴿إنه يسلك﴾ خبره وجيء بالفاء لكونه اسم موصول وقوله تعالى ﴿وَأَحَاطَ

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي بما عند الرصد **﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ﴾** أي مما كان ومما سيكون **﴿عَدَداً﴾** أي فرداً فرداً حال من فاعل **﴿يسلك﴾** بتقدير قد أو بدونه جيء به لمزيد الاعتناء بأمر علمه تعالى بجميع الأشياء وتفرده سبحانه بذلك على أتم وجه بحيث لا يشاركه سبحانه في ذلك الملائكة الذين هم وسائط العلم فكأنه قيل لكن المرتضى الرسول يعلمه الله تعالى بواسطة الملائكة بعض الغيوب مما له تعلق ما برسالته والحال أنه تعالى قد أحاط علماً بجميع أحوال أولئك الوسائط وعلم جل وعلا جميع الأشياء بوجه جزئي تفصيلي فأين الوسائط منه تعالى أو حال من فاعل أبلغوا جيء به للإشارة إلى أن الرصد أنفسهم لم يزيدوا ولم ينقصوا فيما بلغوا كأنه قيل ليعلم الرسول أن قد أبلغ الرصد إليه رسالات ربه في حال أن الله تعالى قد علم جميع أحوالهم وعلم كل شيء فلو أنهم زادوا أو نقصوا عند الإبلاغ لعلمه سبحانه فما كان يختارهم للرصدية والحفظ هذا ما سنح لذهني القاصر في تفسير هذه الآيات الكريمة ولست على يقين من أمره بيد أن الاستدلال بقوله سبحانه **﴿فلا يظهر﴾** الخ على نفي كرامة الأولياء بالاطلاع على بعض الغيوب لا يتم عليه لأن قوله تعالى **﴿فلا يظهر على غيبه أحداً﴾** في قوة قضية سالبة جزئية لدخول ما يفيد العموم في حيز السلب وأكثر استعمالاته لسلب العموم وصرح به فيما هنا في شرح المقاصد لا لعموم السلب وهو سلب جزئي فلا ينافي الإيجاب الجزئي كأن يظهر بعض الغيب على ولي على نحو ما قال بعض أهل السنة في قوله تعالى **﴿لا تدركه الأبصار﴾** [الأنعام: ١٠٣] ولا يرد أن الاستثناء يقتضي أن يكون المرتضى الرسول مظهراً على جميع غيبه تعالى بناءً على أن الاستثناء من النفي يقتضي إيجاب نقيضه للمستثنى ونقيض السالبة الجزئية الموجبة الكلية مع أنه سبحانه لا يظهر أحداً كائناً من كان على جميع ما يعلمه عز وجل من الغيب وذلك لانقطاع الاستثناء المصرّح به ابن عباس وكذا لا يرد أن الله تعالى نفى إظهار شيء من غيبه على أحد إلاّ على الرسول فيلزم أن لا يظهر سبحانه أحداً من الملائكة على شيء منه لأن الرسول هنا ظاهر في الرسول البشري لقوله تعالى **﴿فإنه يسلك﴾** الخ وذلك ليس إلاّ فيه كما لا يخفى على من علم حكمة ذلك ويلزم أن لا يظهر أيضاً أحداً من الأنبياء الذين ليسوا برسل بناءً على إرادة المعنى الخاص من الرسول هنا وذلك لما ذكرنا أولاً وكذا لا يرد أنه يلزم أن لا يظهر المرتضى الرسول على شيء من الغيوب التي لا تتعلق برسالته ولا يخل الإظهار عليها بالحكمة التشريعية إذ لا حصر للبعض المظهر فيما يتعلق بالرسالة وإنما أشير إلى المتعلق بها لاقتضاء المقام لذلك وكون كل غيب يظهر عليه الرسول لا يكون إلا متعلقاً برسالته محل توقف وللمفسرين ها هنا كلام لا بأس بذكره بما له وما عليه حسب الإمكان ثم الأمر بعد ذلك إليك فنقول لما كان مذهب أكثر أهل السنة القول بكرامة الولي بالاطلاع على الغيب وكان ظاهر قوله تعالى **﴿عالم الغيب فلا يظهر﴾** الخ دالاً على نفيها ولذا قال الزمخشري إن في هذا إبطال الكرامات أي في الجملة وهي ما كان من الإظهار على الغيب لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط انتهى. أنجدوا وأتهموا وأيمنوا وأشأموا في تفسير الآية على وجه لا ينافي مذهبهم ولا يتم عليه استدلال المعتزلي على مذهبه فقال الإمام ليس في قوله تعالى **﴿على غيبه﴾** صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى في الآية دلالة على أنه سبحانه لا يظهر شيئاً من الغيوب لأحد ويؤكد ذلك وقوع الآية بعد قوله تعالى **﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون﴾** والمراد به وقوع يوم القيامة ثم قال فإن قيل إذا حملتم ذلك على القيامة فكيف

قال سبحانه ﴿**إلا من ارتضى من رسول**﴾ مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله قلنا بل يظهره عند القرب من إقامة القيامة وكيف لا وقد قال تعالى ﴿يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا﴾ [الفرقان: ٢٥] ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت وأيضاً يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعاً كأنه قيل ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه**﴾ المخصوص وهو قيام القيامة ﴿**أحداً**﴾ ثم قيل ﴿**إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه**﴾ حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن انتهى. وتعقب بأن في غيبه ما يدل على العموم كما سمعت أولاً والسياق لا يأباه اللهم إلا أن يطعن في ذلك. وأيضاً ظاهر جوابه الأول عن القيل كون المراد بالرسول في الآية الرسول الملكي ويأباه ما بعد من قوله تعالى ﴿**فإنه يسلك**﴾ الخ على أن علم الملائكة بوقت الساعة يوم تشقق السماء ليس من الإظهار على الغيب بل هو من إظهار الغيب وإبرازه للشهادة كإظهار المطر عند نزوله وما في الأرحام عند وضعه إلى غير ذلك، وأيضاً الانقطاع على الوجه الذي ذكره بعيد جداً إذ فيه قطع المناسبة بين السابق واللاحق بالكلية اللهم إلاّ أن يقال مثله لا يضر في المنقطع وقيل إن الإظهار على الغيب بمعنى الاطلاع عليه على أتم وجه بحيث يحصل به أعلى مراتب العلم والمراد عموم السلب ولا يضر في ذلك دخول ما يفيد العموم في حيز النفي لأن القاعدة أكثرية لا مطردة لقوله تعالى ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ [الحديد: ٢٣] وقوله سبحانه ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ [البقرة: ٢٧٦] وقد نص على ذلك العلامة التفتازاني فيكون المعنى ﴿**فلا يظهر**﴾ على شيء ﴿**من غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول**﴾ فإنه سبحانه يظهره على شيء من غيبه بأن يسلك الخ ولا يرد كرامة الولي إذ ليست من الإظهار المذكور إذ لا يحصل له أعلى مراتب العلم بالغيب الذي يخبر به وإنما يحصل له ظنون صادقة أو نحوها وكذا شأن غيره من أرباب الرياضات من الكفرة وغيرهم وتعقب بأن من الصوفية من قال كالشيخ محيي الدين قدس سره بنزول الملك على الولي وإخباره إياه ببعض المغيبات أحياناً ويرشد إلى نزوله عليه قوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ [فصلت: ٣٠، الأحقاف: ١٣] الآية وكون ما يحصل له إذ ذاك ظن أو نحوه لا علم كالعلم الحاصل للرسول بواسطة الملك لا يخلو عن بحث بل قد يحصل له بواسطة الإلهام والنفث في الروع نحو ما يحصل للرسول وأيضاً يلزم أن لا يظهر الملك على الغيب إذ الرسول المستثنى رسول البشر على ما هو الظاهر والتزام أنه لا يظهر بالمعنى السابق ويظهر بواسطته مما لا وجه له أصلاً وأيضاً يلزم أن ما يحصل للنبي غير الرسول بالمعنى الأخص المتبادر هنا ليس بعلم بالمعنى المذكور وهو كما ترى وقيل المراد بالغيب في الموضعين الجنس والإظهار عليه على ما سمعت وكذا عدم ورود الكرامة والبحث فيه كالبحث في سابقه وزيادة وقال صاحب الكشف في الرد على الزمخشري الغيب إن كان مفسراً بما فسره في قوله تعالى ﴿يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣] فالآية حجة عليه لأنه جوز هنالك أن يعلم بإعلامه تعالى أو بنصبه الدليل. وهذا الثاني أعني القسم العقلي تنفيه الآية وترشد إلى أن تهذيب طرق الأدلة أيضاً بواسطة الأنبياء عليهم السلام والعقل غير مستقل وأهل السنة عن آخرهم على أن الغيب بذلك المعنى لا يطلع عليه إلاّ رسول أو آخذ منهم وليس فيه نفي الكرامة أصلاً وإن أراد الغائب عن الحس في الحال مطلقاً فلا بد من التخصيص بالاتفاق فليس فيه ما ينفيها أيضاً وإن فسر بالمعدوم كما ذكره في قوله تعالى ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ [الأنعام: ٧٣ وغيرها] فلا بد أيضاً من التخصيص وكذلك لو فسر بما غاب عن العباد أو بالسر على أن ظاهر الآية أنه تعالى عالم كل غيب وحده لا يظهر على غيبه المختص به وهو يتعلق بذاته تعالى وصفاته عز وجل بدلالة الإضافة إلا رسولاً وهو كذلك فإن غيبه تعالى لا يطلع عليه إلاّ بالإعلام من رسول ملكي أو بشري ولا

كل غيبه تعالى الخاص مطلع عليه بل بعضه وأقل القليل منه فدل المفهوم على أن غير هذا النوع الخاص من الغيب لا منع من إطلاع الله تعالى غير الرسول عليه فهذا ظاهر الآية دون تعسف ثم لو سلم فالثاني إما مستغرق وإذا قال سبحانه لا يطلع على جميعه أحداً إلا من ارتضى من رسول لم يدل على أنه لا يجوز اطلاع غير الرسول على البعض وإما مطلق ينزل على الكامل منه فيرجع إلى ما اخترناه وتعاضد دلالتا تشريف الإضافة والإطلاق فلا وجه لتعليقه بهذه الآية ومنه يظهر أن الاستدلال من الآية على إبطال الكهانة والتنجيم غير ناهض وإن كان إبطالهما حقاً لأنكره فضلاً عن تكفير من قال بدلالته على حياة أو موت لأنه كفر بهذه الآية كما نقله شيخنا الطيبي عن الواحدي والزجاج وصاحب المطلع انتهى. وبحث فيه بأن حمل غيبه على الغيب الخاص بمعنى ما يتعلق بذاته تعالى وصفاته عز وجل مما لا يناسب السياق وبأن ظاهر ما قرره على احتمال الاستغراق يقتضي على تقدير اتصال الاستثناء وإيجاب ضد ما نفى للمستثنى أن يظهر الرسول على جميع غيبه تعالى إلى ما يظهر بالتأمل وذكر العلامة البيضاوي أولاً ما يفهم منه على ما قيل حمل غيبه على العموم مع الاختصاص أي عموم الغيب المخصوص به علمه تعالى وحمل فلا يظهر على سلب العموم وحمل الرسول على الرسول البشري واعتبار الاستثناء منقطعاً على أن المعنى ﴿**فلا يظهر**﴾ على جميع ﴿**غيبه**﴾ المختص به علمه تعالى ﴿**أحداً إلاّ من ارتضى من رسول**﴾ فيظهره على بعض غيبه حتى يكون اخباره به معجزة فلا يتم الاستدلال بالآية على نفي الكرامة. وفسر الاختصاص بأنه لا يعلمه بالذات ولكنه علماً حقيقياً يقينياً بغير سبب كاطلاع الغير إلا هو سبحانه وأما علم غيره سبحانه لبعضه فليس علماً للغيب إلاّ بحسب الظاهر وبالنسبة لبعض البشر وقيل أراد بالغيب المخصوص به تعالى ما لم ينصب عليه دليل ولا يقدح في الاختصاص علم الغير به بإعلامه تعالى إذ هو إضافي بالنسبة إلى من لم يعلم. وقال ثانياً في الجواب عن الاستدلال ولعله أراد الجواب عند القوم ما نصه وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير توسط وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقياً من الملائكة أي بالنفث في الروع ونحوه وحاصله أن الاستدلال إنما يتم أن لو تحقق كون المراد بالرسول رسول البشر والملك جميعاً أو رسول البشر فقط وبالإظهار الإظهار بواسطة أولاً والكل ممنوع إذ يجوز أن يخص الرسول برسول الملك وأن يراد بالإظهار الإظهار بلا واسطة ويكون المعنى فلا يظهر بلا واسطة على غيبه إلاّ رسل الملائكة ولا ينافي ذلك إظهار الأولياء على غيبه لأنه لا يكون إلاّ بالواسطة وهو جواب بمنع المقدمتين وإن كان يكفي فيه منع أحدهما كما فعل الإمام والتفتازاني في شرح المقاصد وتعقب بأن رسل البشر قد يطلعون بغير واسطة أيضاً وفي قصة المعراج وتكليم موسى عليه السلام ما يكفي في ذلك على أنه قد قيل عليه بعد ما قيل وأغرب ما قيل في هذا المقام كون ﴿**إلاّ**﴾ في قوله تعالى ﴿**إلا من ارتضى**﴾ للعطف والمعنى فلا يظهر على غيبه أحد ولا من ارتضى من رسول وحاله لا يخفى ثم إن تفسير قوله تعالى ﴿**فإنه يسلك**﴾ الخ بما سمعت هو الذي عليه جمهور المفسرين وكانت الحفظة الذين ينزلون مع جبريل عليه السلام على نبينا ﷺ على ما أخرج ابن المنذر وجماعة عن ابن جبير أربعة وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ آية من القرآن إلاّ ومعها أربعة من الملائكة يحفظونها حتى يؤدونها إلى النبيّ ﷺ ثم قرأ ﴿**عالم الغيب**﴾ الآية وقد يكون مع الوحي أكثر من ذلك ففي بعض الأخبار أنه نزل مع سورة الأنعام سبعون ألف ملك ملك وجاء في شأن آية الكرسي ما جاء وقال ابن كمال لاحت دقيقة بخاطري الفاتر قلما يوجد مثلها في بطون الدفاتر وهي أن المراد ﴿**من بين يديه**﴾ في الآية القوى الظاهرة ﴿**ومن خلفه**﴾ القوى الباطنة ولذلك قال سبحانه ﴿**يسلك**﴾ الخ أي يدخل حفظة من الملائكة يحفظون قواه الظاهرة

والباطنة من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم من تينك الجهتين ولو كان المراد حفظة من الجوانب كي لا يقربه الشياطين عند إنزال الوحي فتلقى غير الوحي أو تسمعه فتلقيه إلى الكهنة فتخبر به قبل إخبار الرسول كما ذهب إليه صاحب التيسير وغيره لما كان نظم الكلام على الوجه المذكور فإن عبارة ﴿**يسلك**﴾ وتخصيص الجهتين المذكورتين إنما يناسب ما ذكرناه لا ما ذكروه انتهى ولا يخفى أنه نحو من الإشارة ولعل التعبير بيسلك على تفسير الجمهور لتصوير الجهات التي تأتي منها الشياطين بالثغور الضيقة والمسالك الدقيقة وفي ذلك من الحسن ما فيه وذهب كثير إلى أن ضمير ﴿**ليعلم**﴾ لله تعالى وضمير ﴿**أبلغوا**﴾ إما للرصد أو لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين قبل باعتبار لفظها والمعنى أنه تعالى يسلكهم ليعلم أن الشأن قد أبلغوا رسالات ربهم علماً مستتبعاً للجزاء وهو أن يعلمه تعالى موجوداً حاصلاً بالفعل كما في قوله تعالى ﴿حتى يعلم المجاهدين﴾ [محمد: ٣١] فالغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد وإيراد علمه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما وقوله تعالى ﴿**وأحاط**﴾ الخ إما عطف على لا يظهر أو حال من فاعل ﴿**يسلك**﴾ جيء به لدفع التوهم وتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالإبلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أو عطف كما زعم بعض على مضمر لأن ﴿**ليعلم**﴾ متضمن معنى علم فصار المعنى قد علم ذلك وأحاط الخ وجوز أن يكون ضمير يعلم للرسول الموحى إليه وضمير ﴿**أبلغوا**﴾ للرصد النازلين إليه بالوحي. وروي عن ابن جبير ما يؤيده أو للرسل سواه ﴿**وأحاط**﴾ الخ عطف على ﴿**ابلغوا**﴾ أو على ﴿**لا يظهر**﴾ وعن مجاهد ليعلم من كذب وأشرك أن الرسل قد أبلغوا وفيه من البعد ما فيه وعليه لا يقع هذا العلم على ما في البحر إلاّ في الآخرة وقيل ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا وقيل ليعلم الجن أن الرسل قد أبلغوا ما أنزل إليهم ولم يكونوا هم المتلقين باستراق السمع وكلا القولين كما ترى ونصب ﴿**عدداً**﴾ عند جمع على أنه تمييز محول عن المفعول به والأصل أحصى عدد كل شيء إلاّ أنه قال أبو حيان في كونه ثابتاً من لسان العرب خلاف وأنت تعلم أن التحويل في مثله تقديري وجوز أن يكون حالاً أي معدوداً محصوراً ولا يضر تنكير صاحبها للعموم وأن يكون نصباً على المصدر بمعنى إحصاء فتأمل جميع ذلك والله تعالى الموفق لسلوك أحسن المسالك وقرىء «عَالِمَ» بالنصب على المدح «وَعَلِمَ» فعلاً ماضياً «الغَيْبَ» بالنصب وقرأ ابن عباس وزيد بن علي «لِيُعْلَم» بالبناء للمفعول والزهري وابن أبي عبلة «لِيُعَلِمْ» بضم الياء وكسر اللام من الإعلام أي ليعلم الله تعالى من شاء أن يعلمه أن قد أبلغوا الخ وقرأ أبو حيوة «رسالة» بالإفراد وقرأ ابن أبي عبلة و «أُحِيطَ» و «أُحْصِي» كل بالبناء للمفعول في الفعلين. ورفع «كلٌ» على النيابة والفاعل هو الله عز وجل فهو سبحانه المحيط بالأحوال علماً والمحصي لكل شيء عدداً.